أكرمتني السماء

العَوْدَةُ المُبَارَكَةُ إلى النِّعْمَةِ الإلَهِيَّة

مروان خليفات

أكرمتني السماء

العودة المباركة إلى النعمة الإلهية



مروان خليفات

مجاز في الشريعة الإسلامية

جامعة اليرموك - الأردن

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
الطبعة الثانية
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
الطبعة الثالثة
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

قال رسول الله ﷺ:

تركتكم على المحجة البيضاء،
ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك

مسند أحمد ٤/١٢٦

قال رسول الله ﷺ:

إني تارك فيكم ما آن تمسكتم به لن تضلوا بعدي
آحدهما اعظم من الآخر:

كتابُ الله حَبلَ مَمدودٌ مِنَ السَماء إلى الأرض، وَعِترَتي أهلُ بيتي

ولن يَتفَرّقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف
تخلفوني فيهما.

صحيح سنن الترمذي: كتاب المناقب، الألباني، وقريب منه في صحيح مسلم،
كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب

الإهداء

إلى روح أُمي الحبيبة . . .

التي ربّتني صغيراً وعطفت عليّ شاباً .

وإلى روح والدي العزيز . . .

الذي وافاه الأجل ،

وأنا في المهد صبيٌ .

أهدي ثواب هذا المجهود . . .

راجياً لهما الشفاعة يوم الورود .





مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي أرسل رسله بالبيّنات وأنزل معهم الكتب والميزان رحمةً للناس وهدى، وصلّ اللهم على المصطفين محمّد وآله الغر الميامين صلاة دائمة لا حدود لعددها ولا نهاية لأمدها.

بعد طبع كتابنا «وركبت السفينة»[1] تلقاه الناس بقبول حسن وأثنوا عليه الثناء الجميل، فلله الحمد أولاً وآخراً، وقد عرض عليّ بعض الإخوان تلخيص الكتاب، وقد تكون هذه الفكرة صائبة، فالكتاب تتجاوز صفحاته الستمائة صفحة، وليس بإستطاعة كل إنسان أن يقرأه أو يشتريه، لهذا قمت

(١) طبع الكتاب ثلاث مرات، ونأسف لكثرة الأخطاء المطبعية التي وقعت في طبعة مركز الغدير في بيروت، إذ لم أتولَ الإشراف المباشر عليها وهناك طبعة محققة ومنقحة في طريقها إلى الطبع.

بتلخيصه..

أمّا الكتاب الأصلي فهو يحكي قصة انتقالي من مذهب إلى آخر، طلباً للإسلام الصحيح، وهو محاولة للوصول إلى المنظومة الإلهية التي تعبّر عن الإسلام من خلال طرح ثلاث مدارس فكرية موجودة بشكل ملحوظ على الساحة وهي:

١ ـ اتباع الأئمة الأربعة والأشعري.

٢ ـ اتباع السلف «السلفية».

٣ ـ اتباع آل البيت «الشيعة الإماميّة».

ولأنّ هذا البحث مختصر، فقد اضطررت إلى أن أحصرهُ بين المدرستين الأولى والثالثة، ومن يرد أن يطّلع على المدرسة السلفية فعليه بمراجعة كتابنا المذكور، وأسأل الله أن يوفقنا لكتابة بحث مستقل عن السلفية في القريب العاجل، وأن ينتفع بهذا البحث المسلمون في أرجاء المعمورة،إنّه نعم المولى ونعم النصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى اللّه وسلم على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

لا يزال الظلام يستنفر قواته العمياء ليوقف تيار النور الإلهي المقدس، وهو يحاول أن يسدّ كل ثقبٍ يفكر عشاق الكرامة في الولوج منه، لكنّ الشمس تسكب حرارتها على الأرض غير عابئة بتجمع الغيوم الداكنة التي اتفقت على حجب نورها.

إنّ الحق لا يزال يطلق نداءاته، ولقد استجاب له الكثيرون، وفتح لهم أبوابه ليرتشفوا منه الهداية والمعاني السامية للوجود.

ومساهمةً منّا في إزالة الموانع التي غطّت الآفاق، فقد رأينا طبع الملخص لكتابنا «وركبت السفينة» المطبوع تحت عنوان «نحو الإسلام الصحيح» وقد راجعناه منقحين موضوعاته بشكل نرجو أن يرضي القارئ الكريم.

مروان خليفات

إربد ــ الأردن

بداية الرحلة

تبتسم السماء للأرض وتنثر في طرقها المسرات، الإنسان لا يعي لُغَتَها. وقد يتآمر مع العبث لحجب اشعاعاتها.. وبالرغم من هذا فهي لا تكترث. تبقي يدها ممدودةً لعل أحداً يصافحها فيحيا!.

ما كنت أظن أنني أجهل لغتها، إلى أن بدأت أولى محطات رحلتي.

الشمس معلقة في الفضاء،وقد ابتلعت الخديعة قسماً كبيراً من نورها، في هذا الوقت وعلى إحدى طرق قريتي الملبدة بالغربة، التَفتَ إليَّ التوفيق،كان مختبأً في طيات كلام صديقي الذي رافقته منذ صباي.

حاورته كثيراً، كي يخلع معتقداته التي أخذها عن أهل البيت عليهم السلام ويرتدي التسنن، كانت ساعات ساخنة بيني وبينه، تمنيت أن يصبح على مذهبنا.

تدحرجت الأيام، وسجلت في كلية الشريعة



والدراسات الإسلامية، كان أساتذتي لا يذكرون أتباع أهل البيت عليهم السلام «الشيعة» بخير.

ومع أنني كنت على المذهب الشافعي، إلاّ أنني بدأت أتأثر بما يطرحه أساتذتي السلفيون، فيما يختص بالاعتقاد. فصرت أردّد معالم العقيدة السلفية، وكذا ما يقال عن الشيعة في قاعة الدرس، وذلك كي أبدأ بهداية صديقي!! لكنّه كان يردّ عليّ بكل قوة.

وفي أثناء مسيرنا وبينما كنت أحدثه عن فضائل أبي بكر وعمر قاطعني قائلاً ـ كالمنتصر ـ: رزيّة الخميس!.

قلت: خيراً ماذا تقصد؟.

قال: إنّها حادثة كانت قبل وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بأيام، حيث قال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه: «هلّم أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده» فقال عمر: إنّ النبي قد غلب عليه الوجع، أو يهجر، حسبنا كتاب الله!!!.

فقلت له: هل وصل بكم الأمر أن تنسبوا هذا الكلام للفاروق، الذي ما عصى النبي صلى الله عليه وآله قط؟!!!.

قال: تجد هذه الحادثة في صحيحي البخاري ومسلم[1].

---

(١) راجع الحادثة في صحيح البخاري، كتاب المرض والطب، باب قول المريض قوموا عنّي. صحيح مسلم كتاب الوصية: باب ترك الوصية، طبقات ابن سعد: ج٢ /

عندئذ يئست من جوابه وشعرت بالهزيمة، وقلت فوراً: وإن قال ذلك، فهو يبقى صحابياً!! أسأل الله الغفران... عبارة لم تأت صدفة، ولكنّها تعبير عن عقيدة ترسّخت في أذهاننا.

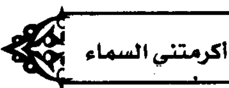
وسألته: في أي كتاب قرأت هذه الحادثة؟ لأنّني وإن وقفت موقف المعاند الذي هُزِم ولم يعترف، لكنني كنت أتمزّق ألماً.

فقال: في كتاب لأحد علماء أهل السنة الذين اعتنقوا مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وطلبت الكتاب منه وبدأت بقراءته فور وقوعه بين يديّ، ورزيّة الخميس تدور في ذهني وكنت أتوجّس خيفةً من عثوري عليها.

فأخذتني قصة الكاتب، وقرأت نصوص إمامة آل البيت عليهم السلام، ومخالفات بعض مشاهير الصحابة للرسول صلى الله عليه وآله، ورزيّة الخميس...، والمؤلف يوثق كل قضية من صحاحنا المعتبرة، فدهشت لما أقرأ وشعرت بكل طموحاتي قد انهارت مغمى عليها، وحاولت إقناع نفسي بأنّ هذه الحقائق غير

ص٣٧...



موجودة في كتبنا.

وفي اليوم الثاني عزمت على توثيق نصوص الكتاب من مكتبة الجامعة، وبدأت برزيّة الخميس، فوجدتها مثبّتة في صحيحي البخاري ومسلم بطرق عدة.

وكان أمامي احتمالان: إمّا أن أوافق عمر على قوله، فيكون النبي ﷺ يهجر ـ والعياذ بالله ـ وبهذا أدفع التهمة عن عمر. وإمّا أن أدافع عن النبي ﷺ وأقرّ بأنّ الصحابة بقيادة عمر ارتكبوا خطأً جسيماً بحق النبي ﷺ حتى طردهم، وهنا أتنازل أمام صديقي عن معتقدات طالما ردّدتها وافتخرت بها أمامه.

وفي اليوم نفسه سألني صديقي عن صحة ما في الكتاب فقلت وقلبي يعتصره الألم: نعم، صحيح.

بقيت فترة حائراً أسيراً للمتاهة، وعرض عليّ صديقي كتاب «لأكون مع الصادقين» لمؤلفه التيجاني وكتابه «فاسألوا أهل الذكر» وغيرهما، فكشفت هذه الكتب أمامي حقائق كثيرة وزادت حيرتي وشكي.

حاولت كتم أنفاس حيرتي، بقراءة ردود علمائنا على



الحقائق المذكورة، لكنّها لم تنفعني بل زادتني بصيرة بأحقية مذهب أهل البيت﷨.

إلى أن اكتملت صورة الحقيقة في ذهني، واعتنقت مذهب آل البيت ﷨ ، بكل قناعة واطمئنان قلب.

وها أنا الآن ـ وبعد تخرجي من كلية الشريعة ـ على يقين تام بصحة ما أنا عليه، أقول هذه الكلمات، ويمر بذهني كيف عزمت على هداية صديقي الشيعي وأهله، وإذا بالصورة قد انعكست، فكان هو ـ وفّقه الله ـ سبب هدايتي.

ولا أنسى تلك اليد ـ يد الرحمة الإلهية ـ التي كانت تعطف عليّ باستمرار أيّما عطف، فلك الحمد ربّاه حمداً يليق بجلالك العظيم ومنّك الجسيم.

لماذا هذا الموضوع؟.

لقد أخبرنا النبي ﷺ أن أمّته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلُها في النّار إلاّ واحدة في الجنّة[1].

ونحن نرى اليوم أنّ المسلمين فرقٌ عديدة، وكلٌ واحدة

---

(١) راجع حديث الافتراق في مستدرك الحاكم: ج١ / ص٦ ـ ١٢٨، سنن الترمذي: ج٥ / ص٢٦، مسند أحمد: ج٢ / ص٣٣٢.



تدّعي أنها على الحق، وقد رأيت هذا الأمر مهماً جداً وعليه يتوقف مصير المسلمين، لذا فحريّ بكل مسلم يرجو الخلاص يوم القيامة أن يجتهد في معرفة هذه الفرقة فيتّبعها.

وأنا بحمد الله قد فعلت، وبعد البحث الجادّ وجدت هذه الفرقة، وثبت لي بالدليل العقلي والنقلي أنّها هي النّاجية، وسأُثبت ذلك في هذا البحث.

ومن الغريب أنّ المسلم يقرأ حديث الافتراق هذا ولا يقوم بواجبه الشرعي في البحث عن هذه الطائفة بحريّة وموضوعيّة كي تبرأ ذمته ويلقى ربّه بقلبٍ سليم.

((والواجب على المسلم بعد تباعد الزمان عن صاحب الرسالة ﷺ واختلاف المذاهب والآراء، وتشعب الفرق والنحل أن يسلك الطريق الذي يثق فيه أنّه يوصله إلى معرفة الأحكام المنزلة على محمد ﷺ صاحب الرسالة، لأن المسلم مكلّف بالعمل بجميع الأحكام المنزلة في الشريعة كما أُنزلت، ولكن كيف يعرف أنّها الأحكام المنزلة كما أُنزلت والمسلمون مختلفون والطوائف متفرّقة، فلا الصلاة واحدة، ولا العبادات متّفقة، ولا الأعمال في جميع المعاملات على وتيرة

واحدة...؟!

فماذا يصنع؟ بأي طريقة من الصلاة إذن يصلّي؟ وبأيّ شاكلة من الآراء يعمل في عبادته ومعاملاته، كالنّكاح والطلاق والميراث والبيع والشراء وإقامة الحدود والديات وما إلى ذلك؟!.

ولا يجوز له أن يقلّد الآباء، ويستكين إلى ما عليه أهله وأصحابه، بل لابُدّ أن يتيقّن بينه وبين نفسه، وبينه وبين الله تعالى، فإنّه لا مجاملة هنا ولا مداهنة ولا تحيّز ولا تعصب.

لابدّ له أن يتيقّن بأنّه قد أخذ بأمثل الطرق التي يعتقد فيها بفراغ ذمّته بينه وبين الله من التكاليف المفروضة عليه منه تعالى، ويعتقد أنْ لا عقاب عليه ولا عتاب منه تعالى باتّباعها وأخذ الأحكام منها، ولا يجوز أن تأخذه في الله لومة لائم ﴿أَيَحْسَبُ الإنسانُ أن يُتْرَكَ سُدَىً﴾[1]، ﴿بَلِ الإنسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[2].

---

(١) القيامة: ٣٦.

(٢) القيامة: ١٤.

﴿إنّ هذهِ تذكِرةٌ فمَنْ شاءَ اتّخذَ إلى ربّهِ سبيلاً﴾[١]..[٢])).

العقيدة وعامل البيئة

إنّ البيئة، والظروف المحيطة بـها، غالباً ما يكون لـها أثر بالغ في تحديد فكر الإنسان واتجاهاتـه، حيث الموروثات البيئية تصبح مع مرور الزمن، ومع الاعتياد عليـها قـولاً وسـلوكاً، حقائق ثابتة لا يجوز الخروج عليها، فإذا ما عُرض على إنسان شيء يخالف معتقداته فإنّ الرواسب الفكرية لمجتمعه والتـي صارت تجري في عروقه تنبعث تلقائياً وتقف في وجه كل من يخالفها، ولكن المسلم، ذلك الإنسان العظيم، يفرض عليه دينه أن يرحّب بأفكار الآخرين ويناقشها بانفتاح وموضوعية.

ولو نظرنـا إلـى حـال الأمّـة الإسلاميّة،لوجدناهـا طرائـق قدداً ﴿كُلُّ حزْبٍ بِما لَدَيهِمْ فَرِحُونَ﴾[٣]. وأصبحت كل طائفـة من الطوائف الإسلامية تنظر لأفكارها على أنها مسلّمات لا يجوز التعرض لها[٤] وإذا ما ناقشت أفكار الآخرين فإنّها تحمل عليها

---

(١) المزمل: ١٩.

(٢) «عقائد الإمامية» محمد رضا المظفر: / ص٦٣ ـ ٦٤.

(٣) المؤمنون: ٥٣.

(٤) هذه النظرية خاطئة وقد ذمها الله في كتابه، فهذا القول كقول مشركي العرب:

بخيلها ورجلها، هذا مع أنّ الله عزوجل دعا المسلمين للانفتاح على أهل الكتاب فضلاً عن الانفتاح على أنفسهم قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً﴾[1].

فلماذا المسلمون لا ينفتح بعضهم على البعض؟ «لماذا هذا التجافي بين أبناء الدين الواحد؟.

هل انتخب كل منّا مذهبه عن وعي وإدراك وبعد الدرس والتحقيق، أم كيف حصل هذا الإنتماء؟ ولابد أن نعترف بأنّ هذه الموضوعية ستكون أمراً صعباً للغاية عندما نواجه قضايا تتعلق بالعقائد والتقاليد والموروثات التي تشبّعت بها العروق وألفتها النفوس.

فلو أنّك سألت شاباً ولد في مدينة (النجف) فقلت له: هل ستكون شيعيّاً لو حصل أنّك ولدت من أبوين سنيين؟ وهكذا لو سألت الحلبي، هل أنك ستكون سنياً بهذه الطريقة لو أنك ولدت في النجف في أسرة شيعية هنا سوف لا يختلف منا اثنان حول الجواب ـ لا ـ الذي سنسمعه، بل يمكننا أن نضع

[إنّا وجدنا آباءنا على أمّةٍ وإنّا على آثارهم مقتدون] الزخرف: ٢٣.

(١) آل عمران: ٦٤.

الجواب مقدماً على أنه من المسلّمات التي لا خلاف فيها، وهذه الملاحظة وحدها تكفي لأن تضعنا أمام الحقيقة كلّها، وتكفي لأن تبعث فينا الإستغراب لهذا التجافي والتنافر الحاصل بيننا... فلقد بلغت بنا تلك العصبيات حداً بالغ الخطورة حتى صار تعصبنا لأي شيء ألفناه هو أشد ألف مرة من استعدادنا للتمسك بالحكم الشرعي الثابت.. ما الذي يحملني على الإعتقاد ـ إلى حد التسليم ـ بأنّ مذهبي الذي ورثته عن آبائي ومجتمعي الصغير هو الحق الأوحد الأمثل. وأنّه الصورة الأكثر كمالاً للدين الإسلامي الحنيف، بحيث لا يشاركه مذهب آخر في حَظّهِ هذا من الكمال؟.

ما الذي حملني على هذا الإعتقاد، أهو القرآن الكريم، أمّ السنّة المطهرة، أم العقل السليم، أم هي العصبية التي لا تستند إلى شيء؟!.

ولماذا لا يمكنني أن أعتقد بأن المذاهب الأخرى هي مثل مذهبي على الأقل.. ألستُ مسؤولاً غداً عن سبب اعتقادي وتبعيّتي الدينيّة؟.

وهذا السؤال الخطير الذي يجب أن أقف عنده موقف

الجد.. وأمام تلك الحقائق فلا مفرّ من كوننا جميعاً على قدم سواء من المسؤولية، مسؤولية البحث والتحري والاستكشاف، ثم انتخاب الموقف الواعي القويم غير المنحاز وغير المتطرف.

وكلنا متساوون في الحاجة إلى مراجعة مواقفنا، ثم إعادة بنائها على أساس سليم»[1].

اقتحام العقبة

يبدو أنّ هناك عقبة تقف أمامنا ولابدّ من اقتحامها قبل الدخول في صلب الموضوع، فقد يقول قائل: إنَ طرح موضوع كهذا فيه اعتداء على أفكار الآخرين وأئمة المذاهب...

إنّ هذا الكلام يحتاج إلى وقفة، فبحثنا هذا ليس إلا بحثاً علمياً ومحاولة للوصول إلى الحقيقة، ولا نقصد من ذلك إيذاء أحد.

ولو أدى بنا البحث إلى مخالفة أحد المذاهب الإسلامية أو أحد الأئمة (رض) فلا يلزم من ذلك الإعتداء عليهم، غاية ما يلزم من ذلك تخطئتهم، والتخطئة الناجمة عن البحث العلمي النزيه ليس فيها اعتداء على أحد ولا حط من كرامته.

---

(١) «منهج في الإنتماء المذهبي» صائب عبد الحميد: / ص١٥ ـ ٣٠.

وكشف الخطأ هو تقدّم كبير لنا نحو الرقي والكمال.

إنّ دهشتي تزداد من هذا الذي يغمض عينيه ويصم سمعه متبعاً سياسة النعامة ظاناً أنّه سينجو من الخطر الذي يترقبه!.

إنّ حديث الافتراق لا مفرّ من الاعتراف به، وخلع التقليد الذي غلّف العقول هو أوّل خطوة نحو الوصول إلى درب السماء.

في عهد النبي ﷺ

كان الصحابة (رض) يرجعون إلى النبيّ ﷺ فيما يعرض لهم من أمور، وكان النبيّ ﷺ يجيبهم وفق التشريع الإلهي، ونحن نعلم أنّ النبي ﷺ ليس مخلّداً ليرجع النّاس إليه في أمورهم الدينية والدنيوية، وقد مات ﷺ بعد أن قام بواجبه خير قيام، ولا بد من مبيّن للشرع الإلهي بياناً كاملاً صحيحاً يطمئن المسلم فيه إلى أنّ أقواله هذه هي المقصود الشرعي.

ولكن من هو هذا المبيّن الذي جعله الله لنا؟ هذا السؤال هو الذي قسّم الأمة إلى فرق عديدة، إنّ الله عزوجل لم يقبل من الإنسان إلاّ أن يؤمن بالإسلام الذي أنزله على رسوله ﷺ قال عزّوجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١) ولكن أين نجد هذا الإسلام الذي لا يقبل الله غيره؟ أهو عند الأشعري والمذاهب الأربعة؟

---

(١) آل عمران: ٨٥.

الأربعة؟ أم هو عند الإمامية؟ أم عند السلفية؟ أم عند المعتزلة؟ أم عند الماتريديه؟ وهكذا يستمر التساؤل حتى نصل إلى ثلاث وسبعين فرقة.

تعال معي ـ قارئي العزيز ـ لنبحث عن هذا المبيّن حتى نأخذ ديننا عنه ونبرىء ذمتنا أمام الله، لنبحث عن الأطروحة الإلهية التي تخلو من الثغرات والشطحات، الأطروحة القائمة على الجزم واليقين، لا نقص بها ولا زيادة ولا تغيير، تعال لننظر في أدلة الفرقتين الآتيتين لنرى أين موقعها من الإسلام حتى لا نبقى كأولئك الذين يقولون: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً وما نحنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[1].

التعريف بالمدرسة الأولى

هي المدرسة التي ينتمي إليها أكثر المسلمين اليوم، ويسمّون أنفسهم بأهل السنة والجماعة، وهم يرجعون في الأصول إلى أبي الحسن الأشعري وفي الفروع إلى الأئمة الأربعة[2].

---

(١) الجاثية: ٣٢.

(٢) ينبغي الالتفات إلى أنّ لقب أهل السنة والجماعة أعم من الأشاعرة، فيدخل فيهم: الماتريدية، الظاهرية، الحشوية أصحاب الحديث، فإطلاقنا هذا اللقب

ولد أبو الحسن الأشعري سنة ٢٧٠ هـ وقيل ٢٦٠ هـ، وتوفي سنة ٣٢٤ هـ وقيل ٣٣٠ هـ، وقد درس علم الكلام على يد الجبائي أحد شيوخ المعتزلة، وبعد أربعين سنة من اعتزال الأشعري وعلى أثر مناقشات عدة مع أستاذه الجبائي تكونت لديه رؤىً خاصة دعته لترك الاعتزال[1]، وأسّس مذهباً وسطاً بين أهل الحديث الحَرفيين والمعتزلة العقليين، وصار مذهبه عقلياً ونقلياً، وقد انتشر مذهبه بعد القرن السادس الهجري، ويقلّد الأشاعرة في الفقه أحد الأئمة الأربعة، وهم: أبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، ولم يكن هؤلاء الأئمة على عقيدة الأشعري نفسها، فالأشعري ولد بعدهم بسنوات، وكان أبو حنيفة من المرجئة، وابن حنبل ومالك كانا على عقيدة أهل الحديث.

التعريف بالمدرسة الثانية

وهي المدرسة التي ينتمي إليها الشيعة الإمامية ويشكّلون نسبة كبيرة من المسلمين إذ يأتون بعد الأشاعرة من حيث

على الأشاعرة من باب المجاراة لهم في إطلاقهم اللقب على أنفسهم.

(١) وقد تكون هناك أسباب أخرى دعته لهذا الأمر، ليس هنا محل بحثها.

العدد... والشيعة يأخذون الإسلام ـ أصولاً وفروعاً ـ عن النبي ﷺ وآل بيته الأطهار ﷺ لا غير، وقالوا بإمامة آل البيت فكرياً وسياسياً وكانوا طوال فترات التاريخ معارضين لحكّام الجور فلاقوا أذىً شديداً وتشويهاً لسمعتهم من قبل الحكام وعلماء السوء على مدى التاريخ الإسلامي.

أمّا متى نشأ التشيع فهناك نظريات عدة في نشوئه[1]، والذي نذهب إليه أن شيعة علي ﷺ ظهروا في حياة النبي ﷺ الذين كان يطريهم ويمدحهم، ثم غلب عليهم اسم الشيعة فيما بعد...

قال أبو حاتم الرازي صاحب كتاب (الزينة): «إنّ أوّل اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ هو الشيعة، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة هم: أبو ذر، وسلمان، والمقداد، وعمّار»[2].

وقال ابن خلدون: «كان جماعة من الصحابة يتشيّعون لعلي، ويرون استحقاقه على غيره، ولمّا عُدِل به إلى سواه

---

(١) قال بعضهم: إنّ التشيّع نشأ يوم السقيفة، وقيل إنّه نشأ بعد مقتل عثمان، وقيل إنّه نشأ على يد عبد الله بن سبأ...

(٢) «روضات الجنات»: / ص٨٨.

تأففوا من ذلك وأسفوا له، إلاّ أن القوم لرسوخ قدمهم في الدين، وحرصهم على الألفة لم يزيدوا في ذلك على النجوى بالتأفف والأسف»[١].

وقال الدكتور صبحي الصالح: «كان بين الصحابة حتى في عهد النبي ﷺ شيعة لربيبه علي، منهم: أبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وجابر بن عبد الله، وأبيّ بن كعب، وأبو الطفيل عمر بن وائلة، والعبّاس بن عبد المطلب، وجميع بنيه، وعمّار بن ياسر، وأبو أيوب الأنصاري»[٢]..

وممّن أرجع التشيّع إلى عهد النبي ﷺ الأستاذ محمد كرد علي في خطط الشام[٣]، ومحمد عبد الله عنان في «الجمعيات السريّة»، وعبد الله الأمين في كتابه «الفرق والمذاهب القديمة»[٤].

---

(١) «تاريخ ابن خلدون»: ج٣ / ص٣٦٤.
(٢) «النظم الإسلامية»: / ص٩٦.
(٣) ج٥ / ص٢٥١.
(٤) للوقوف على تفاصيل هذا الموضوع راجع كتابنا «وركبت السفينة»: / ص٦١٦ ـ ٦١٩.

منهجنا في البحث

إنّ منهجنا في هذا البحث هو مطالبة كل فريق بدليله من الكتاب والسنّة على صحة دعواه بوجوب الرجوع إلى أولئك الناس، لأخذ الإسلام عنهم، فمنهجنا قرآني، قال تعالى:

﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[١] ومن ثقلت كفّة موازينه ﴿فهو في عيشةٍ راضية﴾[٢].

بالإضافة إلى ذلك، سنعرض لأهم الإشكالات في أسس هاتين الفرقتين إن وجدت!

﴿فبشّر عباد * الذين يستمعون القول فيتّبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[٣].

---

(١) التوبة: ١١٩.
(٢) القارعة: ٧.
(٣) الزمر: ١٧ و ١٨.



الباب الأول

مع الأشاعرة



لماذا أكون أشعريّاً؟

لماذا يجب عليّ أن أتّبع الأشعري وأحد المذاهب الأربعة؟ هل من دليل؟ هل من آية؟ هل من حديث؟ وبالرجوع إلى القرآن والسنة لا نجد أدنى إشارة إلى هذا الأمر، قال جاد الحق علي جاد الحق ـ شيخ الأزهر ـ «ولا يلزم من قول من قال بوجوب تقليد واحد من الأئمة أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، إذ لا دليل على ذلك»[1]..

نهي الأئمة عن تقليدهم

من أكبر الإشكالات التي تعرض لنا هنا: نهي الأئمة الأربعة أنفسهم عن تقليدهم، وقد ورد هذا النهي تلميحاً وتصريحاً وهذه بعض أقوالهم.

أقوال أبي حنيفة

١ ـ (لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا مالم يعرف من أين

---

(١) «الدروس الحسنية»: / ص١٣٩.

أخذناه)[1].

قال الشوكاني معلقاً على هذا القول: (وهذا هو تصريح بمنع التقليد، لأنّ من علم بالدليل فهو مجتهد مطالب بالحجة، لا مقلّد فإنّه الذي يقبل القول ولا يطالب بحجّة)[2].

٢ ـ «قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منّا»[3].وقد أورد ابن حزم هذا القول ضمن أقوال أبي حنفية في النهي عن تقليد .

٣ ـ قيل لأبي حنيفة: يا أبا حنيفة هذا الذي تفتي فيه هو الحق الذي لا شك فيه؟ فقال: «لا أدري لعلّه الباطل الذي لا شك فيه»....

وقال زفر: «كنّا نختلف إلى أبي حنيفة ومعنا أبو يوسف ومحمد بن الحسن فكنّا نكتب عنه، فقال يوماً لأبي يوسف:

---

(١) «الانتقاء» ابن عبد البر: / ص١٤٥، »مجموعة الرسائل المنيرية« الصنعاني: ج١ / ص٢٨، «حجة الله البالغة» الشاه دهلوي: ج١ / ص١٥٨.

(٢) «القول المفيد» الشوكاني: / ص٤٩.

(٣) «تاريخ بغداد»، الخطيب البغدادي: ج٣ / ص٤٢، «حجة الله البالغة»: ج١ / ص١٥٧، «ملخص ابطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد» ابن حزم: / ص٦٦.

ويحك يعقوب! لا تكتب كل ما تسمعه منّي، فإني قد أرى الرأي اليوم فأتركه غداً، وأرى الرأي غداً فأتركه بعد غد...»[1]!.

أقوال مالك بن أنس

١ ـ «إنّما أنا بشر أخطىء وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنّة فاتركوه»[2].

قال ابن حزم معلّقاً على كلام مالك: «فهذا مالك ينهى عن تقليده، وكذلك أبو حنيفة، وكذلك الشافعي...»[3].

وقال الشوكاني: «ولا يخفى عليك أنّ هذا تصريح منه ـ أي مالك ـ بالمنع من تقليده»[4].

٢ ـ قال مالك: «إن نظن إلاّ ظناً وما نحن بمستيقنين»[5].

٣ ـ قال القعنبي: دخلت على مالك في مرضه الذي

---

(١) «تاريخ بغداد»: ج٣ / ص٤٢، «أبو حنيفة» أبو زهرة.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» ابن عبد البر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري: ج١ / ص٧٧٥، «معنى قول الإمام المطلبي إذا صحّ الحديث فهو مذهبي» تقي الدين السبكي، تحقيق علي نايف بقاعي، ص١٢٥.

(٣) «الإحكام في أصول الأحكام»: ج٦ / ص٢٩٤.

(٤) «القول المفيد»: / ص٥٠.

(٥) «جامع بيان العلم وفضله»: ج٢ / ص٣٢.

مات فيه فسلّمت عليه فرأيته يبكي فقلت: يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك؟ فقال لي: «يا ابن قعنب ومالي لا أبكي! ومن أحقُ بالبكاء منّي! لوددت أني ضُربت سوطاً وقد كانت لي السعة فيما سبقت إليه، وليتني لم أفتِ بالرأي[1]»!!.

٤ ـ روي أنّ مالكاً أفتى في طلاق البتة ـ أي الطلاق الذي لا رجعة فيه ـ أنها ثلاث، فنظر إلى أشهب قد كتبها، فقال: امحها، أنا كلما قلت قولاً جعلتموه قرآناً! أما يدريك! لعلي سأرجع عنها غداً فأقول: هي واحدة!![2]..

أقوال الشافعي

١ ـ «ما قلت وكان النبي ﷺ قد قال بخلاف قولي، فما صحّ من حديث النبي أولى ولا تقلّدوني»[3]!! وقد استدل السبكي بقول الشافعي هذا في نهيه عن التقليد.

٢ ـ «لا يُقلّد أحد دون رسول الله ﷺ»[4].

---

(١) رواه ابن عبد البر، راجع «القول المفيد»: / ص٧٩، «وفيات الأعيان» ابن خلكان: ج٣ ص٢٤٦.

(٢) «الإحكام في أصول الأحكام»: ج٦ / ص٣١٤.

(٣) «آداب الشافعي ومناقبه» ابن أبي حاتم الرازي: / ص٩٣، «معنى قول الإمام المطلبي»السبكي : ص٧١.

(٤) «الرد على من أخلد إلى الأرض وأنكر أنّ الاجتهاد في كل عصر فرض»

٣ ـ قال الشافعي للمزني: «يا إبراهيم، لا تقلّدني في كل ما أقول! وانظر في ذلك لنفسك فإنّه دين»[١].

٤ ـ «لقد ألّفت هذه الكتب ولم آل جهداً، ولابدّ أن يوجد فيها الخطأ!! لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ولو كان من عِندِ غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[٢] فما وجدتم في كتبي هذه ممّا يخالف الكتاب والسنّة فقد رجعت عنه»[٣]..

أقوال أحمد بن حنبل

١ ـ «لا تقلّدني! ولا تقلّد مالكاً! ولا الشافعي! ولا الأوزاعي! ولا الثوري! وخذ من حيث أخذوا»[٤].

٢ ـ قال أبو داود: قلت لأحمد: الأوزاعي اتّبعُ أم مالكاً؟ قال: «لا تقلّد دينك أحداً من هؤلاء!! ما جاء عن النبي فخذ به»[٥].

السيوطي: / ص١٣٨.

(١) «حجة الله البالغة»: ج١ / ص١٥٧.

(٢) سورة النساء: ٨٢.

(٣) «مختصر المؤمل» أبو شامة الشافعي: / ص٦٠.

(٤) المصدر السابق: / ص٦١، «مجموعة الرسائل المنيرية»: ج١ / ص٢٧.

(٥) «مجموعة الرسائل المنيرية»، «إعلام الموقعين» ابن القيم: ج٢ / ص٢٠٠.

٣ ـ «من قلّة فقه الرجل أن يقلّد دينه الرجال»[١].

٤ ـ ذُكِر لأحمد بن حنبل قوْل مالك وترك ما سواه، فقال: «لا يلتفت إلاّ إلى الحديث، قوم يفتنون هكذا يتقلّدون قول رجل ولا يبالون بالحديث»[٢].

أقوال العلماء

١ ـ قال سحنون ـ وهو من أشهر تلاميذ مالك ـ: «ما أدري ما هذا الرأي الذي سفكت به الدماء، واستحلت به الفروج، واستحقت به الحقوق»[٣].

٢ ـ قال ابن عبد البر ـ حافظ المغرب ـ :«إنّه لا خلاف بين أهل الأعصار في فساد التقليد»[٤] وبعد أن أورد آيات من القرآن في ذم التقليد قال: «وهذا كله نفي للتّقليد وإبطال لمن فهمه وهدي لرشده»[٥].

٣ ـ قال القاضي الباقلاني: «من قلّد فلا يقلّد إلاّ الحيّ

---

(١) «مجموعة الرسائل المنيرية»: ج١ / ص٢٧، «إعلام الموقعين»: ج٢ / ص٢٠١.

(٢) «الرد على من أخلد إلى الأرض»: / ص١٣٤.

(٣) «القول المفيد»: / ص٧٩. «إعلام الموقعين»: ج١ / ص٧٩.

(٤) المصدر السابق: / ص٤٨.

(٥) «الرد على من أخلد إلى الأرض»؛ «القول المفيد»: / ص٤٨.

ولا يجوز تقليد الميت»[١].

٤ ـ قال السيوطي: «ما زال السلف والخلف يأمرون بالإجتهاد ويحضّون عليه وينهون عن التقليد ويذمّونه ويكرهونه، وقد صنف في ذمّ التقليد كالمزني وابن حزم وابن عبد البر وأبي شامة وابن قيّم الجوزية وصاحب البحر المحيط»[٢].

٥ ـ كان ابن دقيق العيد الذي يعد مجدّد القرن السابع الهجري يرى حرمة التّقليد ولم يستطع التصريح بذلك إلاّ عند وفاته «روى المؤرخ الأدفوي عن شيخه الإمام ابن دقيق العيد أنه طلب منه ورقة، وكتبها في مرض موته، وجعلها تحت فراشه، فلما مات أخرجوها، فإذا هي في تحريم التقليد مطلقاً»[٣].

٦ ـ قال الشيخ الأكبر ابن العربي: «والتقليد في دين الله لا يجوز عندنا لا تقليد حي ولا ميّت»[٤].

---

(١) نسبه له ابن حزم في الإحكام: ج٦ / ص٩٧.
(٢) «الرد على من أخلد إلى الأرض»: / ص٤٢.
(٣) «القول المفيد»: / ص٥٧.
(٤) «الفتوحات المكية» الباب الثامن والثمانون.

٧ ـ قال الشوكاني: «فنصوص أئمة المذاهب الأربعة في المنع من التقليد، وفي تقديم النص على آرائهم وآراء غيرهم، لا تخفى على عارفٍ من أتباعهم وغيرهم، وأيضاً العلماء إنّما أرشدوا غيرهم إلى ترك تقليدهم ونهوا عن ذلك»، «فإنّه صحّ عنهم ـ يقصد الأئمة الأربعة ـ المنع من التقليد»[1].

٨ ـ قال ابن الجوزي: «اعلم أنّ المقلّد على غير ثقة فيما قلّد فيه، وفي التقليد ابطال منفعة العقل لأنّه خلق للتأمل والتدبر...»[2].

٩ ـ قال السيّد سابق: «وكانوا ـ الأئمة الأربعة ـ ينهون عن تقليدهم ويقولون: لا يجوز لأحد أن يقول قولنا من غير أن يعرف دليلنا، وصرّحوا أنّ مذهبهم هو الحديث الصحيح...»[3].

١٠ ـ قال سالم البهنساوي: «الأصل في الإسلام أن يأخذ المسلم الحكم الشرعي من الكتاب والسنّة، لأنّه لا عصمة لأحد حتى تصبح أقواله وأفعاله شرعاً من الله لا تحمل مخالفة،

---

(١) «القول المفيد»: / ص٦٦، ٤٢، ٤٨.
(٢) «تلبيس إبليس»: / ص١٢٤ ـ ١٢٥، وذكره صاحب «القول المفيد»: / ص٦٦.
(٣) «فقه السنة»: ج١ / ص١٣ ـ ١٤.

وأقوال أبي حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم ليست ملزمة بذاتها، بل بما استندت إليه من الكتاب والسنّة النبوية، نصّ على ذلك هؤلاء الأئمة الأربعة»[١].

ومن نقلّد؟

بعد التغاضي عن أقوال الأئمة الأربعة في النهي عن تقليدهم، وعلى افتراض وجود دليل، لكن من نقلّد منهم؟ هل نقلّد أبا حنيفة أم مالكاً أم الشافعي أم أحمد؟ إنّ المرجّح مفقود والترجيح بلا مرجّح فاسد عقلاً وشرعاً، وإذا قلّدنا الشافعي مثلاً ألا يعني أننا وضعنا على الآخرين علامة استفهام؟ والملاحظ أنّ مذهب الأشعري الفقهي محل خلاف، فالحنفية يقولون كان حنفياً، والمالكية يجعلونه مالكياً وكذا الشافعية!.

الأئمة والسنة

إنّ المتتّبع لآراء الأئمة الأربعة يجد أنّ فيها ما يخالف السنة، ومن ذلك رأيهم في الطلاق، فمن المعلوم أنّ طلاق الثلاث بلفظ واحد أوقعه النبي ﷺ طلقة واحدة[٢]، أما الأئمة

---

(١) «السنة المفترى عليها» : ص١٩٤.

(٢) «صحيح مسلم»: كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث.

الأربعة فقد عدّوه ثلاث طلقات.

فكيف يجوز للمسلم ترك ما صح عن النبي ﷺ والأخذ بخلافه؟.

وقد جمع المحقق ابن دقيق العيد المسائل التي خالف مذهب كل واحد من الأئمة الأربعة الحديث الصحيح فيها انفراداً واجتماعاً في مجلد ضخم(١).

وذكر الألباني خمساً وخمسين مسألة خالف فيها الأئمة والفقهاء السنّة الصحيحة، وقال ابن حزم عن الأحاديث التي خالفها الأئمة والفقهاء: لو تتبعها المتّبع لربما بلغت الألوف(٢).

وقال الليث بن سعد: «أحصيت على مالك بن أنس سبعين مسألة كلّها مخالفة لسنّة النبي ﷺ قال فيها برأيه»(٣).

من فقه الأئمة الأربعة

قال أبو حنيفة: «لو أنّ رجلاً في مصر وكّل آخر بالأندلس بأن يزوجه فلانة فيعقد له عليها، ولا يلتقيان أصلاً فيما يرى الناس ثم تجيء المرأة بولد يكون نسبه ثابتاً للرجل

---

(١) راجع «صفة صلاة النبي» الألباني: / ص٣٧.
(٢) «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام» الألباني: / ص٥٨.
(٣) «جامع بيان العلم وفضله»: ج٢ / ص١٠٨٠.

الذي في مصر»[١].

وقال الدبوسي الحنفي: «إذا استأجر امرأة ليزني بها لا للخدمة، فزنى بها، لا حدّ عليه عند أبي حنيفة!!...»

إذا تزوج ذات رحم منه فوطأها وهو يعلم أو لا يعلم، لا حدّ عليه، لأنّ صورة المبيح قد وجدت وهو النكاح وإن لم يبح، وهو قول أبي حنيفة!!...[٢]

وفي فقه المالكية: لو نوى رجل أن يطلق زوجته ولم يتلفظ فإنها تطلق!!.

يقول الزمخشري المفسّر المعروف:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به ... وأكتمه كتمانه لي أسلم

فإن حنفياً قلتُ قالوا بأنّني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرّم

وإن مالكياً قلتُ قالوا بأنّني ... أبيحُ لهم أكل الكلاب وهُم هم

وإن شافعياً قلتُ قالوا بأنّني ... أبيحُ نكاح البنت والبنت تحرم

وإن حنبلياً قلت قالوا بأنّني ... ثقيل حلولي بغيض مجسّم[٣]

---

(١) «الأحوال الشخصية»: محيي الدين عبد الحميد، بحث النسب، وراجع كتب الحنفية.

(٢) «تأسيس النظر»: / ص١٤٨ ـ ١٤٩، تحقيق وتصحيح مصطفى محمد القباني الدمشقي، وانظر «بدائع الصنائع» للكاساني الحنفي: ج٧ / ص٣٥.

(٣) ترجمة الزمخشري المطبوعة بالجزء الرابع من تفسيره الكشاف: / ص٣١٠.

من عقائد الأشاعرة

قال النووي: «ومذهب أهل السنة أيضاً أنّ الله تعالى لا يجب عليه شيء تعالى الله، بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه، يفعل فيهما ما يشاء، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلاً منه، ولو نعّم على الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك»(١).

إنّ عقيدة الأشاعرة هذه لا دليل عليها، وإنما الأدلة ضدها، فهم بناءاً على قاعدتهم - لا يجب على الله شئ - قالوا بجواز ادخال الله المطيعين النار والكافرين الجنة، لكن هذه القاعدة متهافتة، فقد أوجب الله على نفسه أشياء منها الرحمة، قال تعالى:﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾(٢)

وما قالوه من أن العالم ملك لله والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء صحيح، ولكن لا يصل الأمر أن يعذب أولياءه فالله وعدهم بجنات تجري من تحتها الأنهار في آيات كثيرة ﴿**إنّ وعدَ الله حقٌ**﴾(٣)، ﴿**إنه كان وعدهُ مأتيا**﴾(٤).

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي»: ج١٧ / ص١٦٠.
(٢) سورة الأنعام: ٥٤.
(٣) سورة لقمان: ٣٣.
(٤) سورة مريم:٦١.

الفعل من الله عزّ وجل؟

وقال القاضي الإيجي في «المواقف»: «المقصد السابع: تكليف ما لا يطاق جائز عندنا»[١].

وهذه عقيدة أخرى يرفضها القرآن، قال تعالى: **﴿لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾**[٢]، **﴿لا يكلّفُ الله نفساً إلاّ ما أتاها﴾**[٣].

أقوال العلماء في الأئمة

أخرج الخطيب البغدادي بالإسناد إلى وكيع، قال: اجتمع سفيان الثوري، وشريك، والحسن بن صالح، وابن أبي ليلى، فبعثوا إلى أبي حنيفة قال: فأتاهم، فقالوا له: ما تقول في رجل قتل أباه، ونكح أمّه وشرب الخمر في رأس أبيه؟ فقال: مؤمن، فقال له ابن أبي ليلى: لا قبلتُ لك شهادة أبداً، وقال له سفيان الثوري: لا كلمتك أبداً، وقال له شريك: لو كان لي من الأمر شيء لضربت عنقك، وقال له الحسن بن صالح: وجهي من وجهك حرام أن أنظر إلى وجهك أبداً.. وعندما سمع بوفاته سفيان الثوري قال: الحمد لله الذي أراح المسلمين

---

(١) «المواقف»: ص٣٣٠.

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

(٣) سورة الطلاق: ٧.

منه[١].

قال ابن عبد البر، فيه: «وممن طعن عليه وجرحه، محمد بن إسماعيل البخاري، فقال في كتابه الضعفاء والمتروكين: أبو حنيفة النعماني بن ثابت الكوفي، قال نعيم بن حماد: حدثنا يحيى بن سعيد ومعاذ بن معاذ سمعنا سفيان الثوري يقول: استتيب أبو حنيفة من الكفر مرتين، وقال نعيم الفزاري: كنت عند سفيان بن عيينة، فجاء نعي أبي حنيفة، فقال: كان يهدم الإسلام عروة عروة، وما ولد في الإسلام مولود شر منه. هذا ما ذكره البخاري»[٢].

وعن الوليد بن مسلم ،قال: قال لي مالك بن أنس: أيذكر أبو حنيفة ببلدكم؟ قلتُ: نعم، قال: ما ينبغي لبلدكم أن يسكن[٣].

وقال ابن عبد البر في الإمام مالك: «وقد تكلم ابن أبي ذئب في مالك بن أنس بكلام فيه جفاء وخشونة كرهت ذكره وهو مشهور عنه، قال إنكاراً منه لقول مالك في حديث البيعين

---

(١) «تاريخ بغداد»: ج١٣ / ص٣٧٤.
(٢) «الإنتقاء»: / ص١٥٠.
(٣) «العلل ومعرفة الرجال»: أحمد بن حنبل: ج٢ / ص٥٤٧، تحقيق وتخريج وصى الله عبّاس وصحّح إسناده.

بالخيار، وكان إبراهيم بن سعد يتكلم وكان إبراهيم بن يحيى يدعو عليه، وتكلم في مالك أيضاً ـ فيما ذكره الساجي في كتاب العلل ـ عبد العزيز بن أبي سلمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن إسحاق وابن ابي يحيى وابن أبي الزناد، وعابوا شيئاً من مذهبه، وتكلم فيه غيرهم لتركه الرواية عن سعد بن إبراهيم، وروايته عن داود بن الحصين وثور بن زيد».

وتحامل عليه الشافعي وبعض أصحاب أبي حنيفة في شيء من رأيه حسداً لموضع إمامته، وعابه قوم في إنكاره المسح على الخفين في الحضر والسفر، وفي كلامه في علي وعثمان، وفي فتياه بإتيان النساء في الأعجاز...[1]

أمّا الشافعي فقد تكلّم فيه يحيى بن معين ـ إمام الجرح والتعديل ـ فقال عنه: «ليس بثقة»[2].

قال ابن عبد البر: «وقد صحّ عن ابن معين من طرقٍ أنّه كان يتكلم في الشافعي»[3].

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله»: ج٢ / ص١١١٥.

(٢) «جامع بيان العلم»: ج٢ / ص١١١٤.

(٣) المصدر السابق: / ص٣٩٤.

وهم أموات أيضاً

كيف نقلّدهم في ديننا وقد ماتوا قبل أكثر من ألف ومائتي سنة؟ إنّ مسائلهم المدونة لا تكفي، والزمن في تطوّر مستمر، وكل يوم يستجد شيء جديد، فكيف سيجيبوننا عن المسائل المستحدثة؟!.

ومختلفون كذلك

إنّ الأئمة الأربعة مختلفون فيما بينهم فكل واحد منهم له فقهٌ خاص، حتى أنّ الاختلاف قائم بين فقهاء المذهب الواحد، ونحن نعلم بديهة أنّ حكم الله واحد لا ثاني له، لأنّ الحق واحد لايتعدد، وقد يحتج علينا البعض بحديث: «اختلاف أمتي رحمة» حتى يبرر ظاهرة الاختلاف بين الأئمة.

لكنّ هذا التفسير لهذا الحديث على افتراض ثبوت وروده، يتعارض مع القرآن فكيف يحثُ نبي الله ﷺ أمته على الاختلاف وهو يتلو لهم عن ربّ العزة: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا**﴾[1] وقوله: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرّقوا**

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

واختلفوا من بعد ما جاءَ هُم البينَات﴾[1] وقولـه: **﴿إنّ هذه أمتكم أمةً واحدة﴾**[2]؟.

وهذا الحديث بالرغم من ذيوعه لا سند لـه، وعنه يقـول الألباني: «لا أصل له، ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له علـى سند فلم يوفّقوا..».

ونقل المناوي عن السبكي أنّه قال: «وليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف» وأقرّه الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على تفسير البيضاوي (ق٩٢/٣) »[3].

وقال ابن حزم عنه: «وهذا من أفسد قول يكون: لأنّه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطاً، وهذا ما لا يقوله مسلم، لأنّه ليس إلاّ اتفاق أو اختلاف، وليس إلاّ رحمة أو سخط» وقال في مكان آخر: «باطل مكذوب»[4].

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٣) «سلسلة الأحاديث الضعيفة»: ج١ / ص٧٦، ح٥٧.

(٤) «الإحكام في أصول الأحكام»: ج٥ / ص٦٤.

النزاع بين أتباع المذاهب وتكفير بعضهم لبعض

من ألوان النزاع بين أتباع المذاهب أنّ الحنابلة كانوا يحرقون مساجد الشافعية، وكان خطباء الحنفية يلعنون الحنابلة والشوافع على المنابر، ووقعت فتنة بين الحنفية والشافعية فحرقت الأسواق والمدارس[(١)].

قال ياقوت الحموي عن أصبهان: «وقد نشأ الخراب في هذا الوقت وقبله في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الشافعية والحنفية والحروب المتصلة بين الحزبين فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى وحرقتها وخرّبتها».

وقال عن الري: «وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية وقامت الحروب بينهما كان الظفر في جميعها للشافعية هذا مع قلة عدد الشافعية إلاّ أن الله نصرهم عليهم»[(٢)]!!.

قال ملاّ علي القاري الحنفي: «اشتهر بين الحنفية أنّ الحنفي إذا انتقل إلى مذهب الشافعي يعزّر وإذا كان بالعكس يخلع عليه»[(٣)]!!.

---

(١) «البداية والنهاية»: ج١٤ / ص٧٦، «مرآة الجنان»: ج٣ / ص٣٤٣.

(٢) «معجم البلدان»: ج١ / ص٢٠٩، وج٣ / ص١١٧.

(٣) «إرشاد النقاد» الصنعاني، وراجع «الدين الخالص»: ج٣ / ص٣٥٥.

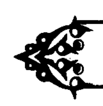
وقال المظفر الطوسي الشافعي: «لو كان لي من الأمر شيء لأخذت على الحنابلة الجزية»[١]!! وكفّر أبو بكر المقري جميع الحنابلة[٢] في حين يقول ابن حاتم الحنبلي: «من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم»[٣]!!.

السياسة ودورها

قد يتبادر للذهن سؤال: إذا كان الأئمة الأربعة قد نهوا الناس عن تقليدهم فلماذا نرى المسلمين اليوم يقلّدونهم؟ والجواب إنّ السياسة هي السبب، فقد فرضت حكومات الجور المذاهب الأربعة على الناس وأجبرتهم على التعبّد بها، وعادت غيرها من المذاهب، وفي هذا يقول المؤرخ المقريزي: «استمرت ولاية القضاة الأربعة من سنة ٥٦٦ هـ حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب الإسلام غير هذه الأربعة، وعُوديَ من تمذهب بغيرها، وأفتى فقهاؤهم في هذه الأمصار بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها، والعمل على هذا إلى اليوم، وأعلن الظاهر بيبرس سد باب الإجتهاد،

---

(١) «مرآة الزمان»: ج٨ / ص٤٤.
(٢) «شذرات الذهب»: ج٣ / ص٢٥٢.
(٣) «تذكرة الحفاظ»: ج٣ / ص٣٧٥.



وما زال أمر بيبرس نافذاً بالرغم من زوال ملكه»[1].

وقال عبد المتعال الصعيدي: «وإنّي أستطيع أن أحكم هنا بأن منع الاجتهاد قد حصل بطرق ظالمة، وبوسائل القهر والإغراء بالمال، ولا شك أنّ هذه الوسائل لو قُدّرت لغير المذاهب الأربعة التي نقلّدها الآن لبقي لها جمهور يقلّدها أيضاً، ولكانت الآن مقبولة عند من ينكرها»[2]..

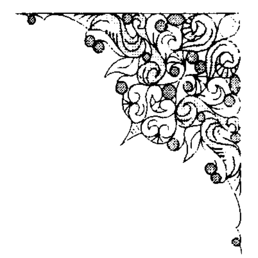
خاتمة المطاف

بعد هذه الجولة في المدرسة الأشعرية نرى أنه لادليل يوجب علينا اتّباعها، ورأينا بعض الإشكالات التي ظهرت فيها، وهذا يدعونا إلى الإنتقال إلى أطروحة الشيعة لنرى ما عندهم.

---

(١) «الخطط المقريزية»: ج٢ / ص٣٣٣.

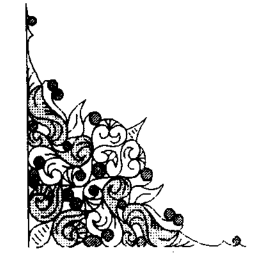
(٢) «ميدان الاجتهاد»: / ص١٤.

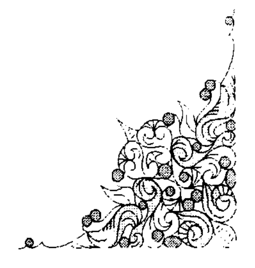




الباب الثاني

مع الإمامية









هل من دليل؟

هذا السؤال نفسه الذي وجّهناه لجمهور أهل السنة نوجهه لأتباع أهل البيت ﷺ، هل من دليل على صحة اتباع أهل البيت ﷺ؟ هل من آية؟ هل من حديث؟.

إنّ الأدلة ـ في كتب أهل السنة ـ كثيرة وكلها مؤكدة على وجوب اتّباع آل البيت ﷺ وفي الصفحات القادمة نشير لأهمها.

الأدلة من السنة

حديث الثقلين

عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض» (١).

وفي صحيح الترمذي والمستدرك على الصحيحين - وصحّحه -: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»(٢).

وورد في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماءٍ يدعى خُمّاً بين مكة والمدينة

(١) «السنة» لابن أبي عاصم، تخريج لألباني وصححه ص ٣٣٧ رقم الحديث ٧٥٤، (مسند أحمد) ١٨٢/٥.

(٢) «صحيح الترمذي» كتاب المناقب: ج٦٣٣ / ص٣٧٨٨/. «المستدرك»: ج٣ / ص١٤٨.



فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر ثمّ قال: «أمّا بعد: ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[1].

صحة حديث الثقلين

هذا الحديث متواتر في كتب أهل السنة قبل كتب الشيعة، وقد روى هذا الحديث خمسة وثلاثون صحابياً وتسعة عشر تابعياً[2]، وقد صحّحه كثير من العلماء منهم: الطبري، الحاكم في المستدرك، الذهبي في تلخيص المستدرك، الهيثمي في مجمع الزوائد، ابن كثير في تفسيره، السيوطي في الجامع الصغير، المناوي، محمد بن إسحاق[3] وابن حجر فقد قال: «ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة، وردت عن نيف وعشرين صحابياً، ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر

---

(١) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب.

(٢) «راجع رواياتهم في عبقات الأنوار»: ج١ و ج٢.

(٣) راجع «حديث الثقلين: تواتره ـ فقهه» علي الحسيني الميلاني.

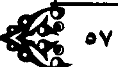
الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنه قاله لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مرّ.. ولا تنافي، إذ لا مانع من أنّه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها، اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة»[1].

وصحّح الحديث من المعاصرين الشيخ الألباني[2]، والمحدّث الشافعي الأشعري الحسن بن علي السقّاف، فقد أثبت السقّاف صحة حديث الثقلين، ووضع حديث «كتاب الله وسنتي» وهذا نص كلامه قال: (سُئلت عن حديث «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله و...»هل الحديث الصحيح بلفظ «عترتي وأهل بيتي» أو هو بلفظ «سنتي» نرجو توضيح ذلك من جهة الحديث وسنده؟.

الجواب: الحديث الثابت الصحيح هو بلفظ «وأهل بيتي» والرواية التي فيها لفظ «سُنّتي» باطلة من ناحية السند والمتن...)

---

(١) «الصواعق المحرقة»: ج٢ / ص٤٤٠.
(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: ج٢ / ص٣٥٥ ـ ٣٥٨.



وبعد أن أورد السقّاف حديث الثقلين من صحيح مسلم قال: «هذا لفظ مسلم»، ورواه أيضاً بهذا اللفظ، الدارمي في سننه (ج٢/ص٤٣١ - ٤٣٢) بإسناد صحيح كالشمس، وغيرهما...

وأمّا لفظ «وسنّتي» فلا أشك بأنه موضوع لضعف سنده، ووهائه، ولعوامل أموية أثرت في ذلك.

وإليك إسناده ومتنه: روى الحاكم في المستدرك (ج١/ص٩٣) الحديث بإسناده من طريق ابن ابي أويس عن أبيه عن ثور بن زيد الديلي عن عكرمة عن ابن عباس وفيه:

«يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً كتاب الله وسُنّة نبيه....».

وأقول: في سنده ابن أبي أويس وأبوه، قال الحافظ المزي في تهذيب الكمال: (ج٣ /ص١٢٧) في ترجمة الإبن - ابن أبي أويس - وأنقلُ قول من جرحه:

«قال معاوية بن صالح عن يحيى - بن معين -: أبو أويس وابنه ضعيفان، وعن يحيى بن معين - أيضاً -: ابنُ أبي أويس وأبوه يسرقان الحديث، وعن يحيى - أيضاً - مخلّط يكذب، ليس بشيء.



وقال أبو حاتم: محله الصدق، وكان مغفّلاً، وقال النسائي: ضعيف، وقال ـ النسائي ـ في موضع آخر: ليس بثقة، وقال أبو القاسم اللالكائي: بالغ النسائي في الكلام عليه، إلى أن يؤدي إلى تركه... و قال أبو أحمد بن عَدِي: وابن أبي أويس هذا روى عن خاله مالك أحاديث غرائب لا يتابعه أحد عليه...».

قلت: قال الحافظ ابن حجر في (مقدمة فتح الباري): / ص٣٩١ دار المعرفة عن ابن أبي أويس هذا: «وعلى هذا لا يحتجُ بشيء من حديثه، غير ما في الصحيح، من أجل ما قدح فيه النسائي وغيره...».

قال الحافظ السيد أحمد بن الصدّيق في (فتح الملك العلي): ص١٥: «وقال سلمة بن شبيب: سمعت إسماعيل بن أبي أويس يقول: ربما كنتُ أضعُ لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم».

فالرجل متهم بالوضع، وقد رماه ابن معين بالكذب، وحديثه الذي فيه لفظ (سنتي) ليس في واحد من الصحيحين.

وأما أبوه، فقال أبو حاتم الرازي كما في كتاب ابنه



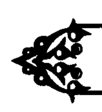
الجرح والتعديل: (ج٥ / ص٩٢): «يُكتب حديثه ولا يحتج به، وليس بالقوي». ونقل في المصدر نفسه ابن أبي حاتم عن ابن معين أنه قال فيه: «ليس بثقة».

قلت: وسندٌ فيه مثل هذين اللذين قدمنا الكلام عليهما، لا يصح ـ حتى يلج الجمل في سمّ الخياط ـ لا سيما وما جاءا به مخالف للثابت في الصحيح، فتأمل جيداً هداك الله تعالى.

وقد اعترف الحاكم بضعف الحديث، فلذلك لم يصححه في المستدرك، وإنما جلب له شاهداً لكنّه واهٍ ساقط الإسناد، فازداد الحديث ضعفاً إلَى ضعفه، وتحققنا أن ابن أبي أويس أو أباه قد سرق واحد منهما حديث ذلك الواهي الذي سنذكره ورواه من عند نفسه، وقد نص ابن معين وهو من هو على أنهما كانا يسرقان الحديث.

فروى الحاكم (ج١ / ص٩٣) ذلك حيث قال: «وقد وجدت له شاهداً من حديث أبي هريرة» ثم روى بسنده من طريق الضبي ثنا صالح بن موسى الطلحي، عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً:

«إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسُنّتي ولن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض».



قلت: هذا موضوع أيضاً، واقتصر الكلام هنا على رجل واحد في السند وهو صالح بن موسى الطلحي، وإليك كلام أئمة أهل الحديث من كبار الحفاظ الذين طعنوا فيه، من تهذيب الكمال (ج١٣ / ص٩٦):

«قال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث، منكر الحديث جداً، كثير المناكير عن الثقات.

وقال النسائي: لا يكتب حديثه، وقال في موضع آخر متروك الحديث».

وفي تهذيب التهذيب (ج٤ / ص٣٥٥) للحافظ ابن حجر:

«قال ابن حبان: كان يروي عن الثقات مالا يشبه حديث الأثبات حتى يشهد المستمع لها أنها معمولة أو مقلوبة لا يجوز الاحتجاج به، وقال أبو نعيم: متروك الحديث يروي المناكير».

قلت: وقد حكم الحافظ عليه في «التقريب» (ترجمة ٢٨٩١) بأنه: «متروك» والذهبي في «الكاشف» (٢٤١٢) بأنه: «واهٍ».

وأورد الذهبي في «الميزان» (ج٢ / ص٣٠٢) حديثه هذا في ترجمته على أنه من منكراته.

وقد ذكر مالك هذا الحديث في «الموطأ»(٨٩٩ برقم ٣) بلاغاً بلا سند ولا قيمة لذلك بعد أن بينا وهاء إسناده.

وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد» (ج٢٤/ص٣٣١) سنداً ثالثاً لهذا الحديث الواهي الموضوع فقال: «وحدثنا عبد الرحمن بن يحيى، قال حدثنا أحمد بن سعيد، قال حدثنا محمد بن إبراهيم الديبلي، قال حدثنا علي بن زيد الفرائضي قال حدثنا الحنيني، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه عن جدّه» به.

قلت: نقتصر على علة واحدة فيه وهي أن كثير بن عبد الله هذا الذي في إسناده قال عنه الإمام الشافعي (رحمة الله تعالى): أحد أركان الكذب، وقال عنه أبو داود: كان أحد الكذابين[1]، قال ابن حبان: روى عن أبيه عن جدّه نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه إلاّ على جهة التعجب[2].

---

(١) نقل السقاف قول الإمام الشافعي وأبي داود عن «تهذيب التهذيب»: ج٨ / ص٣٧٧ دار الفكر، و«تهذيب الكمال»: ج٢٤ / ١٣٨.

(٢) انظر المجروحين: ج٢ / ص٢٢١ للحافظ ابن حبان.

قال النسائي والدار قطني: متروك الحديث.

وقال الإمام أحمد: منكر الحديث ليس بشيء، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء.

قلت: وقد أخطأ الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في التقريب عندما اقتصر على قوله فيه: ضعيف، ثم قال: «وقد أفرط من رماه بالكذب» قلت: كلا لم يفرط بل هو واقع حاله كما ترى من كلام الأئمة فيه.

لا سيما وقد قال عنه الذهبي في الكاشف: «واهٍ» وهو كذلك، وحديثه موضوع، فلا يصلح للمتابعة ولا للشواهد بل يُضرب عليه، والله الموفق..

فتبين بوضوح أن حديث (كتاب الله وعترتي) هو الصحيح الثابت في صحيح مسلم، وأن لفظ (كتاب الله وسنتي) باطلٌ من جهة السند غير صحيح، فعلى خطباء المساجد والوعّاظ والأئمة، أن يتركوا اللفظ الذي لم يرد عن رسول الله ﷺ، وأن يذكروا للناس اللفظ الصحيح الثابت عنه ﷺ في صحيح مسلم (كتاب الله وأهل بيتي) أو (عترتي)[1] انتهى.

---

(١) «صحيح صفة صلاة النبي» ٢٨٩ ـ ٢٩٤، وتخريج السقّاف هذا ردّ على كل من

ومع هذا لو افترضنا جدلاً صحة حديث (كتاب الله وسنتي) فلا تعارض بينه وبين حديث الثقلين، ويبقى التمسك بآل البيت، سبباً أساسياً للنجاة، وقد جمع بين الحديثين ابن حجر فقال: «وفي رواية «كتاب الله وسنتي»، وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب لأنّ السنة مبينة، فأغنى ذكره عن ذكرها، والحاصل أنّ الحثّ وقع على التمسك بالكتاب والسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة»[1].

ولو صحّ حديث «وسنّتي» فهو قاضٍ بالتمسك بآل البيت لأن حديث الثقلين من سنة النبي[2]!!.

دلالة الحديث

حديث الثقلين صريح في وجوب التمسك بكتاب الله

حاول تصحيح الحديث مثل: الدكتور علي السالوس وغيره.

(١) الصواعق المحرقة: ج٢ / ص٤٣٩.

(٢) إنّ المصادر السنيّة التي ذكرت حديث الثقلين تربو على المائتين منها: «مسند أحمد بن حنبل»: ج٥ / ص١٨٢، «طبقات ابن سعد»: ج٢ / ص١٩٢، «المعجم الصغير» الطبراني: / ص٧٣، «السنن الكبرى» البيهقي: ج١٠ / ص١١٣، «كنز العمال»: ج١ / ص٣٢٢، وصححه الألباني في مواضع عدة من تخريجاته منها: سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج٤ / ص٣٥٥، صحيح سنن الترمذي:، صحيح الجامع الصغير.

عزّ وجلّ وآل البيت ﷺ معاً، فالأمن من الضلال لايكون إلاّ بالتمسك بهما معاً لقوله ﷺ: «ما إن تمسكتم بهما» ولم يقل بأحدهما، وفيما يلي كلمات بعض أعلام أهل السنة التي تؤكد ما أوردناه.

قال الشيخ عبد الرحمن النقشبندي بعد ذكره لأهل البيت: «كيف وهم أنجم ديننا ومصدر شرعنا وعمدة أصحابنا، فيهم ظهر الإسلام وفشا، وبهم تأيدت أركانه ونشأ، ومن ثمّ صحّ أنه ﷺ قال: إني تارك....»[1].

وقال علي القاري في «المرقاة» عن هذا الحديث: «والمراد بالأخذ بهم التمسك بمحبتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل بروايتهم، والاعتماد على مقالتهم».

«وأقول: الأظهر هو إنّ أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا عدلاً لكتاب الله سبحانه كما قال: ﴿ويُعَلِّمُهُم الكِتابَ والحِكْمَةَ﴾[2]..».

---

(١) «العقد الوحيد»: / ص٧٨.

(٢) راجع «حديث الثقلين ـ تواترة ـ فقهه» والرسالة التي أصدرتها دار التقريب في

وقال التفتازاني في «شرح المقاصد»: «ألا ترى أنّه ﷺ قد قرنهم بكتاب الله تعالى في كون التمسك بهما منقذاً من الضلالة، ولا معنى للتمسك بالكتاب إلاّ بالأخذ بما فيه من العلم والهداية فكذا في العترة»(١).

وقال المناوي: «إن ائتمرتم بأوامر كتابه، وانتهيتم بنواهيه، واهتديتم بهدي عترتي، واقتديتم بسيرتهم، اهتديتم فلم تضلّوا»(٢).

حديث السفينة

قال النبي ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»..

روى هذا الحديث ثمانية من الصحابة، وصححه كل من: الحاكم في مستدركه: ج٣ / ص١٥١، السيوطي في نهاية الأفصال في مناقب الآل(٣)، والطيبي في شرح المشكاة(٤)، وابن حجر الشافعي إذ قال: «جاء من طرق عديدة يقوي

مصر عن حديث الثقلين.

(١) المصدر السابق.

(٢) «فيض القدير»: ج٣ / ص١٤.

(٣) مخطوط.

(٤) راجع «خلاصة عبقات الأنوار» على الحسيني الميلاني: / ص٤٣.

بعضها بعضاً...»(١) الحديث، وصحح الحديث محمد بن يوسف المالكي المعروف بالكافي إذ قال بعد كلام له: «ويدلّك على ذلك الحديث المشهور المتفق على نقله: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»(٢).

وقد روى الحديث أكثر من مائة وخمسين عالماً من علماء أهل السنة مرسليه إرسال المسلمات(٣)..

دلالة الحديث

إنّ دلالة الحديث واضحة كل الوضوح على أنّ النجاة بركوب سفينة آل البيت ﷺ، ومعنى ركوب سفينتهم اتّباعهم والاقتداء بهم والسمع والطاعة لهم، قال ابن حجر الشافعي: «ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مرّ أنّ من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة مشرّفهم، وأخذ بهدي علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات

---

(١) «الصواعق المحرقة»: ج٢ / ص ٤٤٥.

(٢) راجع «خلاصة عبقات الأنوار»: / ص٢٤٧.

(٣) مثلاً: «المستدرك» للحاكم: ج٣ / ص١٥١، «المعجم الكبير» الطبراني: / ص١٣٠، «المعجم الصغير» الطبراني: / ص٧٨، «مجمع الزوائد» الهيثمي: ج٩ / ص١٦٨، «الجامع الصغير» السيوطي، «عيون الأخبار» ابن قتيبة: ج١ / ص٢١١..

ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم، وهلك في مفاوز الطغيان»[١].

مجموعة أحاديث

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»[٢].

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[٣].

٣ ـ قال رسول الله ﷺ: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض»[٤].

---

(١) الصواعق المحرقة: ج٢ / ص٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٢) صحّح هذا الحديث اثنان وعشرون من جهابذة علماء أهل السنة والجماعة كيحيى بن معين، والطبري في «تهذيب الآثار»، والحاكم في المستدرك... وقد ألّف الحافظ الأشعري محمد ابن الصديق المغربي كتاباً أثبت فيه صحة هذا الحديث أسماه: «فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي» وراجع الحديث في «المستدرك»: ج٣ / ص١٢٦ و ١٢٧، (أسد الغابة): ج٤ / ص٢٢، «تذكرة الخواص»: ص٤٧ و ٤٨.

(٣) «المستدرك»: ج٣ / ص١٤٩، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، «الصواعق المحرقة»: ج٢ / ص٤٤٥ وصَحّحه، «مجمع الزوائد»: ج٩ / ص١٤٧.

(٤) «المستدرك»: ج٣ / ص١٢٤، قال: هذا حديث صحيح الإسناد، الطبراني في

علي، لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض»[١].

٤ ـ قال رسول الله ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار»[٢].

٥ ـ قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»[٣].

٦ ـ قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدنٍ غرسها ربي فليوالِ علياً وليوال وليّه، وليقتدي بالأئمة من ولده من بعدي فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أُمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[٤]..

---

(١) «المستدرك»: ج٣ / ص١٢٤، قال: هذا حديث صحيح الإسناد، الطبراني في الأوسط، »الصواعق المحرقة»: ج٢ / ص٣٦١...

(٢) «تاريخ بغداد»: ج١٤ ، ص٣٢١، «منتخب الكنز»: ج٥ / ص٣٠، و راجع سنن الترمذي:ج٥ /ص٦٣٣، «المستدرك» ج٣ / ص١٢٤، مجمع الزوائد: ج٧ / ص٣٥...

(٣) «المستدرك»: ج٣ / ص١٢٢ وقال:صحيح على شرط الشيخين، «كنز العمال»: ج٦ / ص١٥٦، منتخب الكنز: ج٥ / ص٣٣، «تاريخ دمشق»: ج٢ / ص٤٨٨، «كنوز الحقائق» المناوي: / ص١٨٨.

(٤) «حلية الأولياء»: ج١ / ص٨٦، «مجمع الزوائد»: ج٩ / ص١٠٨، «تاريخ دمشق»: ج٢ / ص٩٥، وراجع «كنز العمال»: ج١٢ / ص١٠٤ حديث رقم ٢٦٢٥، «منتخب

الأدلة من القرآن

مجموعة آيات

ـ لما نزل قول الله تعالى: ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾[(١)].

قال رسول الله ﷺ: «يا علي هم أنت وشيعتك»[(٢)] وزاد في رواية: لهم الفائزون يوم القيامة.

ـ وقد أمرنا الله بالاعتصام بآل البيت عليهم السلام في قوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾[(٣)]..

فالمقصود بحبل الله في هذه الآية الثقلان (الكتاب وآل البيت) وحديث الثقلين خير دليل على ما نقوله، وقد فسّرت

---

(١) سورة البيّنة: ٧.

(٢) مصادر هذا الحديث قرابة عشرين مصدراً منها: «شواهد التنزيل» الحسكاني الحنفي: ج٢/ ص٣٥٦ ـ ٤٦٦، «الدر المنثور»: ج٦ / ص٣٧٩، «تفسير الطبري»: ج٣ / ص١٤٦، «فتح القدير»، الشوكاني: ج٥ / ص٤٧٧، «روح المعاني» الآلوسي: ٣٠ / ٢٠٧، «الصواعق المحرقة» /ص٩٦....

(٣) سورة آل عمران: ١٠٣.

الروايات حبل الله بآل البيت[١]..

ـ وأمرنا الله بسؤال أهل الذكر.

قال تعالى: ﴿**فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[٢]..

وأهل الذكر المأمور بسؤالهم هم آل البيت ﷺ كما في الروايات[٣].

ـ وأمرنا تعالى بالكون معهم في قوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[٤].

قال سبط ابن الجوزي: «قال علماء السير: معناه كونوا مع علي وأهل بيته، قال ابن عبّاس: علي سيّد الصادقين»[٥]..

ـ وهم الذين أمرنا الله تعالى باطاعتهم في قوله: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[٦]. فأولو الأمر

---

(١) راجع: «روح المعاني»: ج٤ / ص١٦، «الصواعق المحرقة»: / ص٤٤٤، «شواهد التنزيل»: ج١ / ص٣٠، ١٧٧ ـ ١٨٠، «الإتحاف بحب الأشراف» الشبراوي الشافعي، / ص٧٦.

(٢) سورة النحل: ٤٣.

(٣) «تفسير الطبري»: ج١٤ / ص٧٥، «تفسير ابن كثير»: ج٢ / ص٥٩١، «تفسير القرطبي»: ج١١ / ص٢٧٢، «روح المعاني»: ج١٤ / ص٤١، «تفسير الثعلبي».

(٤) سورة التوبة: / ص١١٩.

(٥) «تذكرة الخواص»: / ص١٠، وراجع «الدر المنثور»: ج٣ / ص٢٩٠، «فتح القدير»: ج٢ ص٢٩٥، «روح المعاني»: ج١١ / ص٤١، «تفسير الثعلبي».

(٦) سورة النساء: ٥٩.

هم آل البيت عليهم السلام[١].

ـ وهم الذين نزلت فيهم آية التطهير إذ أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قال تعالى: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[٢].

وقد نزلت هذه الآية في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٣].

ـ وآل البيت هم الذين باهل بهم رسول الله صلى الله عليه وآله النصارى إذ قال تعالى: ﴿**فمن حاجّكَ فيه من بَعْدِ ما جاءكَ من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾[٤].

وقد أجمع المفسرون على نزول هذه الآية في أصحاب الكساء، فكان الحسن والحسين عليهما السلام أبناء النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة

---

(١) «شواهد التنزيل»: ج١ / ص١٤٨، حديث ٢٠٢ ـ ٢٠٤، «تفسير الرازي»: ج٤ / ص١١٣، «تفسير البحر المحيط» أبي حيان الأندلسي: ج٣ / ص٢٧٨، «تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري»: ج٥ / ص٧٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، صحيح الترمذي: ج٥ / ص٦٦٣، مسند أحمد: ج١ / ص٣٣٠، «المستدرك على الصحيحين»: ج٣ / ص١٣٣ و١٤٦ و١٤٧ و ١٥٨...

(٤) سورة آل عمران: ٦١.

الزهراء عليها السلام نساءه وعليّ عليه السلام نفسه[١].

- وهم الذين أوجب الله مودتهم على كل مسلم، قال تعالى: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القُربى**﴾[٢]..

والمقصود بالقربى هنا أصحاب الكساء: علي، فاطمة، الحسن والحسين عليهم السلام[٣].

- وهم الذين أوجب الله الصلاة عليهم، قال تعالى: ﴿**إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً**﴾[٤].

والمقصود بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله هنا أن نصلي عليه وعلى آله معاً كما صرحت بهذا الروايات[٥].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، صحيح الترمذي: ج٥ / ص٦٣٨، «المستدرك» وصححه: ج٣ / ص١٥٠.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) تفسير الطبري: ج٢٥ / ص١٦، تفسير ابن كثير: ج٤ / ص١١٢، تفسير الزمخشري: ج٣ ص٤٦٧، تفسير القرطبي: ج١٦ / ص٢٢، «المستدرك»: ج٣ / ص١٧٢...

(٤) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٥) «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب قوله: إنّ الله وملائكته يصلون على النبي، «صحيح مسلم» كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله بعد التشهد، «صحيح الترمذي»: ج٢ ص٣٥٢.



أدلة الفريقين على كفتي الميزان

ثبت لنا أنّه ليس هناك دليل لاتباع المذاهب الأربعة وغيرهم ممن يسمون أنفسهم بأهل السنة على صحة منهجهم، لا من القرآن ولا من السنة، أمّا أتباع أهل البيت ﷺ فلديهم رصيد كبير من الأدلة القرآنية والنبوية على وجوب اتّباعهم، فلو جعلنا أدلة الإمامية على كفة ميزان وجعلنا أدلة الأشاعرة (المفقودة) على الكفّة الأخرى منه لثقلت كفّة الميزان لدى الإمامية بحديث الثقلين وحده.

وبهذا نرى أنّ الواجب اتّباع آل البيت ﷺ والأخذ عنهم ﷺ وهذا الواجب هو تنفيذ لأمر الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ بوجوب اتّباعهم، وهو سبب النجاة الوحيد يوم القيامة.

وقفة مع السلفية

خالف السلفية جمهور السنة في كيفية تلقي معالم الإسلام،فبينما يقلّد جمهور السنة الأئمة الأربعة ويتعبدون بفتاواهم، عدّ السلفيون هؤلاء الأئمة مثل سائر علماء المسلمين ولا ينحصر الإسلام بهم، والفهم الصحيح للإسلام هو بالرجوع إلى الكتاب والسنة بنقل أي صحابي ومن جاء

بعدهم.

نحن نتفق معهم في اعتماد الكتاب والسنة كمصدرين أساسيين للإسلام، لكنّ، هل يمكن أخذ السنة عن أي صحابي مهما كانت سيرته ودون النظر إلى حاله كما هو منهج السلفية؟ أم إنّه يجب أن ندخله محكمة الجرح والتعديل وندرس حياته وإذا ثبتت استقامته وضبطه في النقل يؤخذ عنه؟ أخرج البخاري عن أبي وائل قال: قال عبد الله: قال النبي ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض ليُرفعنّ إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي: فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[1].

وفي رواية: «ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثمّ يحال بيني وبينهم...»[2].

وعن أبي هريرة أنّه كان يحدّث أنّ رسول الله ﷺ قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فَيُحَلّؤون عن

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: [واتقوا فتنةً لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة....].

(٢) المصدر السابق، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ.

الحوض، فأقول: يا ربّ اصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»[١].

هذه الأحاديث صريحة في دخول الصحابة النّار، وهذا إشكال خطر واجه السلفية، لهذا فسروا المقصودين في الأحاديث بالمنافقين والمرتدين، وهذا التفسير ليس صحيحاً، فقد بيّنت الروايات علة دخول هؤلاء النار وهو: الإرتداد والإحداث.. والمنافق لا يرتد لأنّه لم يسلم أصلاً، ولم يذكر لنا التاريخ شيئاً عن إحداث المنافقين[٢].

وتفسيره بالمرتدين مرفوض، لأنّ القسم الأكبر منهم ارتدوا في حياة النبي ﷺ، فكيف يستفسر ﷺ دخولهم النار، كذلك إنهم لم يحدثوا شيئاً في الدين وإنّما ارتدوا عنه لا غير، إن هناك رواية تقول: بعد أن يؤخذ الأصحاب إلى النار يقول النبي ﷺ: «فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم»[٣].

---

(١) «صحيح البخاري»: كتاب الرقاق، باب في الحوض.

(٢) ولا يذكر أيّ تحرك لهم ضد الإسلام والمسلمين، فهل كان أبو بكر (رض) أذكى من النبي ﷺ، فجذبهم إلى الإسلام وصفت قلوبهم! أم أنهم رضوا بالوضع السياسي القائم آنذاك ونال إعجابهم فأوقفوا مؤامراتهم التي طالما حاكوها ضد النبي ﷺ وكشفها القرآن؟ يبدو لي أنّ هذه نقطة جديرة جداً بالتأمل والمتابعة..

(٣) «صحيح البخاري» كتاب الرقاق، باب في الحوض.

قال ابن حجر: «والهمل ـ بفتحتين ـ الإبل بلا راعٍ... والمعنى أنّه لا يرده ـ الحوض ـ منهم إلاّ القليل لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره»[1].

وجاء في لسان العرب والنهاية لابن الأثير: «أي إنّ الناجي منهم قليل في قلة النعم الضالة»[2].

بالإضافة لهذا فإنّ هناك روايات من صحابة مقربين من النبي ﷺ اعترفوا على أنفسهم بالإحداث والتغيير بعد النبي ﷺ وهي مفسرة للأحاديث السابقة بما لايبقي للسلفية أي تأويل أو تبرير لأحاديث الحوض.

روى البخاري بسنده عن العلاء بن المسيب عن أبيه، قال: «لقيت البراء بن عازب، فقلت: طوبى لك، صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا بن أخ، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده!!»[3].

قال أنس بن مالك: «ما أعرف شيئاً ممّا كان على عهد النبي ﷺ! قيل: الصلاة، قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم

---

(١) فتح الباري: ج١١ / ص٤٠١.
(٢) لسان العرب: ج١٥ / ص١٣٥، النهاية في «غريب الحديث»: ج٥ / ص٢٧٤.
(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية.

فيها؟!»[١].

وقد بين أبو الدرداء هول المصيبة وتغير حال النّاس عمّا كانوا عليه في زمن النبي ﷺ، أخرج البخاري قال: «سمعت سالماً قال: سمعت أم الدرداء تقول: دخل عليّ أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد ﷺ شيئاً إلا أنّهم يصلون جميعاً!!»[٢].

وقد بيّن النبي ﷺ حال الصحابة بعده بصورة واضحة.. عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم، أي قوم أنتم؟» قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك!! تتنافسون! ثمّ تتحاسدون!، ثم تتدابرون!، ثمّ تتباغضون، أو نحو ذلك، ثمّ تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلوا بعضهم على رقاب بعض»[٣].

ومن حديث لعمرو بن عوف: ... «فقدم أبو عبيدة بمالٍ

---

(١) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب تضييع الصلاة.

(٢) صحيح البخاري: ج١ / ص١٥٩.

(٣) سنن ابن ماجة: كتاب الفتن، باب فتنة المال.

من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلمّا صلّى رسول الله ﷺ انصرف، فتعرّضوا له: فتبسّم رسول الله ﷺ، حين رآهم، ثمّ قال: أظنّكم سمعتم أنّ أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟ قالوا: أجل يا رسول الله!،قال: أبشروا وأمّلوا ما يسرُكم، فو الله! ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم!، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»[1].

وقد أكّد النبي ﷺ كلامه السابق بحديث آخر يصرح فيه بأنّ أصحابه سيتبعون من كان قبلهم، قال ﷺ: «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضبٍ تبعتموهم» قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟.

قال: فمن؟[2]. تبيّن لنا: إنه لايمكن لمسلم أن يتلفّع بالإطمئنان في أخذ الإسلام عن أي صحابي كما هو منهج السلفية، نحن نتفق معهم على الكتاب والسنة، لكنّ الذين

---

(١) سنن ابن ماجة: كتاب الفتن، باب فتنة المال، صحيح البخاري: كتاب المغازي: ج٥ / ص١٩٩.

(٢) وقد أوردنا إشكالات أخرى عديدة على السلفيين في كتاب«وركبت السفينة».

يوضحونهما للناس هم أئمة أهل البيت عليهم السلام تبعاً للأدلة الثابتة.

اعتناق بعض علماء أهل السنة مذهب أهل البيت عليهم السلام

لقد أدّى انتشار الكتب في العصور الحديثة وتوفر بدايات الحوار العلمي بين المسلمين، أدّى ذلك إلى تجلي هذه الحقيقة ـ أحقيّة مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالإتباع ـ لدى كثير من علماء أهل السنة ومثقفيهم، لذلك قام ثلة من هؤلاء العلماء باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام وكتبوا كتباً مملوءة بالأدلة الناصعة، وهذه أسماء بعضهم :

١ ـ الشيخ محمد مرعي الأنطاكي، له كتاب: «لماذا اخترت مذهب الشيعة مذهب أهل البيت » عليهم السلام.

٢ ـ الشيخ أحمد أمين الأنطاكي، له كتاب: «في طريقي إلى التشيّع».

٣ ـ الدكتور محمد التيجاني السماوي التونسي، له كتب عدة منها: «ثم اهتديت»...

٤ ـ الأستاذ صائب عبد الحميد، له مؤلفات عديدة منها: «ابن تيمية ـ حياته ـ عقائده ـ موقفه من الشيعة وأهل البيت عليهم السلام»...

٥ ـ المحامي أحمد حسين يعقوب الأردني، له: «المواجهة الكاملة مع الرسول وآله»...

٦ ـ الشيخ سعيد أيوب، من علماء مصر المعروفين، له: «معالم الفتن» في جزئين.

٧ ـ الأستاذ أدريس الحسيني المغربي، له: «الانتقال الصعب في المذهب والمعتقد»...

٨ ـ الدكتور أسعد وحيد قاسم، من فلسطين له: «حقيقة الشيعة الاثني عشرية»...

٩ ـ الدكتور محمّد بيومي مهران، من مصر، له: «الإمامة وأهل البيت ﷺ» في ثلاثة أجزاء وله أكثر من ستين كتاباً.

١٠ ـ الشيخ معتصم سيّد أحمد، من السودان له: «الحقيقة الضائعة رحلتي نحو مذهب أهل البيت ﷺ».

١١ ـ الكاتب محمد عبد الحفيظ، من مصر، له: «لماذا أنا جعفري».

١٢ ـ الدكتور أحمد راسم النفيس، له: «الطريق إلى مذهب أهل البيت ﷺ».

١٣ ـ الأستاذ محمد الكثيري، له: «السلفية بين أهل

السنة والإمامية».

١٤ ـ الشيخ سعيد الرحمن، الهندي صاحب مجموعة مؤلفات منها كتاب: «لِمَ أصبحت شيعياً».

١٥ ـ السيد ياسين المعيوف البدراني، من سوريا، له: «يا ليت قومي يعلمون».

١٦ ـ الأستاذ عبد المنعم محمد الحسن، من السودان، له: «بنور فاطمة اهتديت».

١٧ ـ الأستاذ متوكل محمد علي، من السودان، له: «ودخلنا التشيع سجداً».

١٨ـ السيد حسين الرجا، من سوريا، له: «دفاع من وحي الشريعة ضمن دائرة السنة والشيعة».

﴿وإنّا لمّا سمعنا الهُدى آمَنّا به فمَنْ يؤمن بربّه فلا يخاف بخساً ولا رَهقاً﴾[1]..

---

(١) سورة الجن: ١٣.

مجمل عقائد الإمامية

ليست عقائد الإمامية إلاّ عقائد الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ بأسسه الآتية:

التوحيد

الإمامية يؤمنون بالله عزّ وجلّ ربّاً واحداً وينفون كل إله سواه، ومن عبد غير الله سبحانه فهو مشرك، وهم ينزّهون الله عزّ وجلّ من كل عيب ونقص ويثبتون له الصفات التي تليق بجلاله، ليس كمثله شيء، له الأسماء الحسنى، منزّه عن الظلم والعبث، عادل، حكيم، ﴿**قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد**﴾[1]..

النبوّة

يؤمن الإمامية بكل الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى، وفي اعتقادهم أنّ من أنكر أحدهم فهو كافر، وآخرهم وأفضلهم

(١) سورة الصمد.

نبيّنا محمد ﷺ.

والأنبياء ﷺ معصومون عن كل صغيرة وكبيرة عصمة مطلقة ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ وتجب طاعتهم ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[١]..

وهم يعظمون الأنبياء ﷺ وينزهونهم من كل نقص ومن كل ما نُسِبَ لهم، كالقول: بأنّ النبي ﷺ كان يدور على نسائه الإحدى عشرة في ساعة واحدة[٢].

وأنه ﷺ كان يلعن من لا يستحق اللعن[٣]، وأنّه ﷺ كان يمثّل ببعض الناس[٤]، وأنّه ﷺ كان يسهو في صلاته[٥]، وأنّه ﷺ كان يبول في الطرقات[٦]...

المعاد

يؤمن الإمامية بأنّ هناك يوماً يجمع الله تعالى فيه

---

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه في غسل واحد.

(٣) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) »صحيح البخاري« كتاب الطبّ: باب الدواء بأبوال الإبل.

(٥) فتح الباري: ج١ / ص٣٢٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من ذكر الناس: «صحيح مسلم» كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له.



الخلائق فيحاسبهم على أعمالهم، فيذهب المؤمنون إلى الجنة والكافرون إلى النار، ويؤمنون بالقبر والجنة والنار والميزان والصراط...

العدل

العدلة صفة من صفات الله عزّ وجلّ يؤمن بها الإمامية ويعتقدون بأنّ كل أفعال الله عزّ وجلّ عادلة وحكيمة وأنّه لا يظلم أحداً مثقال ذرة على عكس رأي الأشاعرة الذين قالوا أنّه يمكن لله أن يعذّب المؤمنين...

الإمامة

يقول الإمامية إنّ النبي ﷺ قبل أن يتوفى عيّن علياً عليه السلام خليفة على المسلمين[1]. ويليه أحد عشر إماماً من ذريته يقومون بقيادة الأمة بعد رحيل النبي ﷺ، ولكن حدث الإنقلاب الذي جاء في القرآن: ﴿**وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله**

---

(١) وهناك أدلة صريحة على هذا في كتب أهل السنة، للإستزداة من هذا الموضوع راجع كتاب «الغدير» للشيخ الأميني، «إحقاق الحق» التستري، وفي كتابنا «وركبت السفينة» أجبنا على بعض الشبهات المثارة كالشورى والإجماع وصلاة أبي بكر بالناس...

شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[١].

والأئمة الذين عيّنهم النبي ﷺ بعده اثنا عشر إماماً أشار لهم ﷺ.

ففي صحيح مسلم: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش»[٢].

وعن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لايزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلهم من قريش»[٣]..

وأئمة أهل البيت ﷺ هم:

١ ـ الإمام علي بن أبي طالب ﷺ (أمير المؤمنين).

٢ ـ الإمام الحسن بن علي ﷺ (المجتبى).

٣ ـ الإمام الحسين بن علي ﷺ (الشهيد).

٤ ـ الإمام علي بن الحسين ﷺ (زين العابدين).

٥ ـ الإمام محمد بن علي ﷺ (الباقر).

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) كتاب الإمارة، باب النّاس تبع لقريش والخلافة في قريش.

(٣) المصدر السابق.

٦ ـ الإمام جعفر بن محمد عليه السلام (الصادق).

٧ـ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام (الكاظم).

٨ـ الإمام علي بن موسى عليه السلام (الرضا).

٩ـ الإمام محمد بن علي عليه السلام (الجواد).

١٠ـ الإمام علي بن محمد عليه السلام (الهادي).

١١ـ الإمام الحسن بن علي عليه السلام (العسكري).

١٢ـ الإمام الحجة بن الحسن عليه السلام (المهدي).

منهج آل البيت عليهم السلام

إنّ منهج آل البيت عليهم السلام قائم على التمسك بالكتاب والسنة وعدم الخروج عنهما إلى القياس والرأي... وقد كتب الإمام علي عليه السلام السنة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وعُرِف كتابه باسم الصحيفة، وتناقل أئمة آل البيت عليهم السلام هذا الكتاب، وعليه اعتمدوا في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله.

وهذه بعض أقوال الأئمة عليهم السلام لنعرف عن كثب منهجهم القويم.

سُئِل الإمام الصادق عليه السلام: بأي شيء يفتي الإمام؟.

فقال: بالكتاب.

فقال السائل: فما لم يكن في الكتاب؟.

فقال الصادق ﷺ : بالسنة.

فقال السائل: فما لم يكن في الكتاب والسنة؟.

فقال: ليس شيء إلاّ في الكتاب والسنّة.

وقال الإمام جعفر الصادق ﷺ: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث أبيه، وحديث أبيه حديث علي بن أبي طالب وحديث علي حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله ﷺ قول الله عزّ وجل»[1]..

ووالِ أناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الله

وقال الإمام الباقر ﷺ: «لو حدثناكم برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين ولكنّا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله ﷺ كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم».

وقد عاتب أحدهم ابان بن تغلب على ولائه للإمام الباقر ﷺ وروايته عنه فقال: «كيف تلومونني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء إلاّ قال: قال رسول الله»؟

(١) «معالم الشريعة» صبحي الصالح: / ص٥٢.

شبهات حول الإمامية

إنّ أغلب من كتبوا عن الإمامية، حادوا عن الصواب حين رجعوا إلى كتب الخصوم ونقلوا عنهم دون تحقيق ولا نظر، يقول حامد داود حنفي: «يخطىء كثيراً من يدّعي أنه يستطيع أن يقف على عقائد الشيعة الإمامية وعلومهم وآدابهم مما كتبه عنهم الخصوم، مهما بلغ هؤلاء الخصوم من العلم والإحاطة، ومهما أحرزوا من الأمانة العلمية في نقل النصوص والتعليق عليها بأسلوب نزيه بعيد عن التعصب الأعمى، أقول ذلك جازماً بصحة ما أدّعي...»[١].

واليوم نجد في المكتبة الإسلامية ما يقرب من خمسة آلاف كتاب ورسالة تهاجم اتباع أهل البيتﷺ ، وتنفّر النّاس منهم، وقد عرضوا صورة سيئة عن عقائدهم إذ طرحوا التشيّع كما يريدون لا كما هو، ولأنّ بحثنا هذا، خطوة في طريق بيان الحق، فلا بدّ من تناول بعض الشبهات حتى نزيلها عن مرآة

(١) من مقدمة حامد داود حنفي على «عقائد الإمامية» للمظفر.

الإسلام الصافية.

شبهة الغلو

لقد اتُّهم أتباع أهل البيت ﷺ بأنهم يقولون بألوهية الأئمة ﷺ، وما شابه هذا من الغلو، والحق إنّ هذه الأقوال هي لبعض الفرق الغالية، ولكنها نسبت للإمامية جهلاً أو تجاهلاً، والإمامية تبعاً لأئمتهم ﷺ، تبرأوا من هذه الأقوال وكفّروا قائليها، وهذه بعض أقوال أئمة أهل البيت ﷺ التي تبين موقفهم من الغلو والغلاة.

قال الإمام الصادق ﷺ لصالح بن السهل: «يا صالح، إنّا والله عبيد مخلوقون، لنا رب نعبده، وإن لم نعبده عذّبنا»[1].

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

لعن الله الغلاة، ألا كانوا يهوداً، ألا كانوا مجوساً، ألا كانوا نصارى، ألا كانوا قدرية، ألا كانوا مرجئة، ألا كانوا حرورية، وقال: لا تقاعدوهم، ولا تصادقوهم، وابرؤوا منهم، برىء الله منهم»[2]..

---

(١) شرح اعتقادات الصدوق.

(٢) «عيون أخبار الرضا» الصدوق.

وقال الشيخ المفيد: ـ أحد كبار علماء الإمامية ـ: «والغلاة من المتظاهرين بالإسلام، هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة، ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، وخرجوا عن القصد، وهم ضُلاّل كفّار، حكم فيهم أمير المؤمنين ﷺ بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة ﷺ عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام»(١).

وقال مصطفى الشكعة مدافعاً عن الإمامية بأنّهم: «يبرؤون من المقالات التي جاءت على لسان بعض الفرق ويعدّونها كفراً وضلالاً»(٢)..

وقال عرفان عبد الحميد: «لذا فليس إلاّ من قبيل التشويه المخزي، درج تعاليم الغلاة تحت مصطلح الشيعة، ومن هنا ظهر فساد الأحكام التعسفية التي أطلقها البعض على الشيعة والصور المنافية للحقيقة التي كوّنوها عنهم، ومن قبيل ذلك ما قاله جولد زيهري، وفريد لندر، وأحمد أمين،

---

(١) شرح اعتقادات الصدوق.

(٢) «إسلام بلا مذاهب».

والآخرون عن الشيعة»[١].

القرآن الكريم

زعم بعض الكتّاب أنّ الإمامية يقولون بتحريف القرآن، وهذه تهمة باطلة ردّها العلماء وكذّبوا الروايات الواردة في هذا الشأن، حتى أنّ علماء السنّة دافعوا عن الإمامية. قال الدكتور محمد عبد الله دراز: «ومهما يكن من أمر فإن المصحف هو الوحيد المتداول في العالم الإسلامي، بما فيه فرق الشيعة، ومنذ ثلاثة عشر قرناً من الزمان، ونذكر هنا رأي الشيعة الإمامية»[٢]..

وقال الشيخ محمد الغزالي: «سمعت من هؤلاء من يقول في مجلس علم: إنّ للشيعة قرآناً آخر يزيد وينقص عن قرآننا المعروف، فقلت له: أين هذا القرآن؟ ولماذا لم يطّلع الإنس والجن على نسخة منه خلال هذا الدهر الطويل؟ لماذا يساق هذا الافتراء؟...

ولماذا هذا الكذب على الناس وعلى الوحي»[٣].

---

(١) «دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية»: / ص٣٢.
(٢) «مدخل إلى القرآن الكريم»: / ص٣٩ ـ ٤٠.
(٣) «دفاع عن العقيدة والشريعة» وممّن دفع هذه التهمة عن الإمامية الشيخ محمد

قال الشيخ الصدوق (ت/ ٣٨١ هـ) ـ شيخ محدثي الشيعة ـ: «اعتقادنا في القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا أنّا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب»(١).

وقال الشيخ المفيد (ت/ ٤١٣ هـ): «وأمّا النقصان وقد قال جماعة من أهل الإمامة أنه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة... وأمّا الزيادة فيه فمقطوع بفسادها»(٢).

إنّ عند الإمامية كتباً تنفي تحريف القرآن، وتردُّ على كل من قال بذلك، فالكركي المعروف بالمحقق الثاني صنف رسالة في نفي النقيصة بعد الإجماع على عدم الزيادة، وصنف آغا بزرك الطهراني «النقد اللطيف في نفي التحريف عن القرآن الشريف».

وقد ألّف أحد علماء أهل السنة كتاباً ليثبت تحريف

ابو زهرة، الشيخ رحمة الله الهندي، الأستاذ محمد المديني، الدكتور مصطفى الرافعي...

(١) «رسالة الاعتقادات».

(٢) «أوائل المقالات» : / ص٥٥.

القرآن أسماه «الفرقان» وردّ عليه علماء مصر في وقته[١].

ويوجد في كتب أهل السنة روايات كثيرة تشير إلى تحريف القرآن وخاصة في صحيحي البخاري ومسلم[٢]..

فعن عائشة أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن (عشر رضعات معلومات يُحرمن ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن»[٣].

والخلاصة إنّ هذه الروايات سواء التي عند الإمامية أو التي عند أهل السنة، روايات مكذوبة ومردودة، والقرآن محفوظ من التحريف بحفظ الله له **﴿إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾**[٤].

هذا هو رأي الإمامية، أما مصحف فاطمة ﷺ فهو ليس قرآناً آخر وإنّما فيه روايات تتصل بمستقبل الأمة الإسلامية...

---

(١) مجلة «رسالة الإسلام» العدد الرابع، مقال الأستاذ محمد المديني: / ص٣٨٢ و ٣٨٣.

(٢) راجع صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا، «صحيح مسلم» باب لو أنّ لابن آدم واديان لابتغى ثالثاً، وكتاب الرضا، ج٤ / ص١٦٧، «مسند أحمد»: ج٥ / ص١٣٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الرضاع: باب التحريم بخمس رضعات.

(٤) سورة الحجر: ٧.

التقيّة

قد يكون الفهم الخاطىء للتقية هو الذي يدعو البعض لمهاجمة الإمامية، إن الشيعة ليسوا باطنيين، فأمهات كتبهم التي منها أخذوا عقائدهم منتشرة، وهم يقومون بطباعتها ونشرها أمام الناس بمختلف مذاهبهم، فالتقية ليست خداع ومراوغة ونفاق كما يسميها البعض، ولكنها إخفاء الاعتقاد في بعض الظروف دفعاً لأذى الآخرين.

وقد عرّفها الشيخ المفيد بأنها: «كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا، وفرض ذلك، إذا علم بالضرورة أو قوي في الظن، فمتى لم يعلم ضرراً باظهار الحق ولا قوّى في الظن ذلك، لم يجب فرض التقية»[1].

والتقية التي يُشنّع بها على الإمامية، مشروعة في الإسلام، يقول مصطفى الرافعي: «والتقية عمل مشروع في الإسلام كما كان مشروعاً من قديم الزمان لدى جميع الشعوب والأمم والأديان، ودليل مشروعيتها الكتاب والسنة

---

(١) «تصحيح الاعتقاد»: / ص١١٥.

والعقل، فدليلها في القرآن قول الله تعالى: ﴿**لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ أن تتّقوا منهم تُقاة**﴾[(١)]».

وهذا يعني أنه يجوز مداراتهم من قبيل التقية دفعاً لأذاهم[(٢)].

وقال الرازي في تفسير آية: ﴿**إلاّ أن تتقوا منهم تقاة**﴾: «روي عن الحسن أنه قال: التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة، وهذا القول أولى، لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان».

وقد مارس الصحابة التقية التي يمارسها الشيعة، فهذا عمّار بن ياسر (رض) أظهر بلسانه الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فنزل قول الله: ﴿**إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾[(٣)] وقال له رسول الله ﷺ : «إن عادوا فعد، فقد أنزل الله فيك قرآناً، وأمرك أن تعود إن عادوا إليك».

إنّ أتباع آل البيت ﷺ ونتيجة الظروف الصعبة التي مرّت

---

(١) آل عمران: ٢٣.
(٢) «إسلامنا في التوفيق بين السنة والشيعة»: / ص١٣٥.
(٣) النحل: ١٠٦.

عليهم كانوا يمارسون التقية كما مارسها عمّار (رض)، وهذا التشريع الذي نزل من أجل عمّار هو تشريع لجميع المسلمين، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال مصطفى الرافعي مدافعاً عن الإمامية: «على أنّ الذين يأخذون على الشيعة الإمامية لجوءهم إلى التقية من أجل حفظ حياتهم وحقن دمائهم ويتناولونهم بالنقد اللاذع الحاد لانصرافهم إلى التقية عوضاً عن المقاومة والجهاد، ألم يُلقِ هؤلاء الناقدون نظرة إلى الوراء ليروا بيقين أنّ التقية عند البشر مشروعة ومستمرة من لدن نبي الله نوح إلى مؤمن آل فرعون إلى كليم الله موسى الذي خرج من مصر خائفاً يترقب حيث قال: ﴿ففررتُ منكم لمّا خفتكم﴾[1] إلى أخيه هارون الذي قال: ﴿إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾[2] إلى لوط ﷺ حين قال: ﴿لو أنّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركنٍ شديدٍ﴾[3] إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ ...

فهل يجسر أحد على اتهام هؤلاء الأنبياء، وجلهم من

---

(١) الشعراء: ٢١.

(٢) الأعراف: ١٥٠.

(٣) هود: ٨٠.

أولى العزم، بركونهم إلى الخداع ونكولهم عن الجهاد مثلما يتّهم المغرضون الشيعة الإمامية؟...

ولا أتصور إنساناً عاقلاً منصفاً لا يعذرهم في استعمال التقية، بل ويوجبها عليهم بدلاً من أن ينسبهم ـ بسببها ـ إلى الغش والحيلة والنفاق....»[1].

التربة الحسينية

يتّخذ الشيعة أقراصاً من التراب يسجدون عليها، وقد وجد بعض الكتاب هذا الأمر فرصة لمهاجمتهم، ولتوضيح هذه القضية نقول: إنّ القاعدة في المدرسة الإمامية أنّه لا يجوز السجود إلاّ على الأرض أو ما أنبتت ما عدا المأكول والملبوس، وبعد استشهاد الإمام الحسين ﷺ دأب الشيعة ـ وبتوجيه من أئمتهم ﷺ بالسجود على تربة كربلاء ، فهم يسجدون على التراب لا له كما يزعم بعض المغرضين، مثلما أهل السنة حين يسجدون على السجّاد يسجدون عليه لا له..!

وقد كان الصحابة يسجدون على الحصى ولم ينكر

---

(١) «إسلامنا» ١٣٣ ـ ١٣٤.

عليهم النبيﷺ، أخرج النسائي عن جابر بن عبد الله قال: «كنّا نصلي مع رسول الله ﷺ الظهر فآخذ قبضة من حصى في كفّي أبرّده ثم أحوّله في كفّي الآخر فإذا سجدت وضعته لجبهتي»[1].

وكان رسول الله ﷺ يسجد على التراب حتّى الطين كما في صحيح البخاري[2].

وقال ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»[3].

فالسجود على التراب جائز لأنه جزء من الأرض، ولا فرق بين أن يسجد الإنسان على التراب أو يعمل منه قرصاً يسجد عليه فهذا تراب وهذا تراب ولا عبرة بالشكل!.

وتبقى مسألة السجود على التربة مسألة فقهية انفرد بها الشيعة عن المذاهب الأخرى كما أنّ لكل مذهب من المذاهب الأربعة مسائل خاصة به، انفرد بها عن سائر المذاهب، وقد اتّبع الشيعة في هذه المسألة وغيرها ما صح عن النبي ﷺ.

---

(١) «سنن النسائي» الجزء الثاني، باب تبريد الحصى.

(٢) الجزء الثاني، باب الاعتكاف في العشر الأواخر.

(٣) «صحيح البخاري» كتاب التيمم.

البداء

«البداء شبهة من الشبهات التي يثيرها خصوم الإمامية ضدهم بدافع التقليد لمذاهبهم من غير أن يتعمّقوا في درس الأدلة التي فهم منها الشيعة الإمامية ما ذهبوا إليه ولا المفهوم الذي قصدوه منه، بل بالغ خصوم الشيعة في توجيه النقد إليهم والتشنيع عليهم بسببه، حتى غدا البداء واحداً من الفوارق المذهبية التي باعدت بين الإمامية ومن سواهم»[1].

«والبداء عند الإمامية هو الزيادة في الآجال والأرزاق، والنقصان منها بالأعمال»[2].

لقد زعم بعض الكتاب أن البداء الذي تقول به الإمامية هو الظهور لله ما كان خافياً عنه، وهذا قول باطل، تبرأ منه الإمامية،ولكنّ البداء عندهم هو الإظهار بعد الإخفاء وليس الظهور بعد الخفاء، فالله حين يبدو له في شيء فإن له علماً سابقاً بهذا الذي يبدو له.

قال الإمام الصادق ﷺ: «ما بدا لله في شيء إلاّ كان

---

(١) إسلامنا: ٢١٠.

(٢) «أوائل المقالات» الشيخ المفيد.

في علمه قبل أن يبدو له» وقال ﷺ: «إن الله لم يبدُ له من جهل»[(١)].

والبداء موجود في عقيدة أهل السنّة لكنّه لم يُبحث عندهم كما بُحث عند الشيعة.

روى البخاري عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يبتليهم»[(٢)].

والقصة طويلة في صحيح البخاري، وموضع الشاهد منها هنا قوله ﷺ: «بدا لله...» فالرسول ﷺ نسب البداء ـ الذي تقول به الإمامية ـ إلى الله، فماذا سيرد أولئك المغرضون الذين يشنّعون على الشيعة عقيدتهم هذه؟!.

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرّه أن يُبسَط له في رزقه أو يُنسأ في أثره فليصل رحمه ».

قال النووي في شرح الحديث: «وأمّا التأخير في الأجل ففيه سؤال مشهور وهو إنّ الآجال والأرزاق مقدّرة لا تزيد ولا

---

(١) «أصول الكافي»: ج١ / ص١٤٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل.

تنقص فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وأجاب العلماء بأجوبة، الصحيح منها...

والثاني - أي الجواب - إنّه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أنّ عمره ستون سنة إلاّ أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ ويثبت فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره ولا زيادة بل هي مستحيلة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث»[1].

وهذا الذي ذكره النووي هو البداء عينه الذي تقول به الإمامية، والآية التي استدلّ بها لتأييد هذه العقيدة هي نفسها التي يستدل بها الإمامية.

قال الدكتور حامد داود حنفي: «ولمّا كان البداء من صفات المخلوقين، لأنّ فعل الشيء ثم محوه يدل على التفكير الطارىء وعلى التصويب بعد الخطأ وعلى العلم بعد الجهل فإنّ كثيراً من المفكرين سفّهوا عقول الشيعة في نسبة البداء إلى

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

الله سبحانه، والشيعة الإمامية براء مما فهمه الناس عن البداء، إذ المتفق عليه عندهم وعند علماء السنة أنّ علم الله قديم منزه عن التغيير والتبديل والتفكير الذي هو من صفات المخلوقين....»[1].

الرجعة

تعني الرجعة عند الإمامية أن الله عزّ وجلّ يعيد في آخر الزمان قوماً من الأموات من الذين محضوا الإيمان محضاً ومن الذين محضوا الكفر محضاً فيقتص تعالى لهؤلاء من هؤلاء.

وهذا الاعتقاد ليس له أهمية وليس له ثقل عند الإمامية فهو مثل الإيمان بالدجال وغيره من القضايا، قال كاشف الغطاء ـ أحد علماء الشيعة ـ:

«ليس التديّن بالرجعة في مذهب الشيعة بلازم، ولا إنكارها بضارّ، ولا يناط التشيّع بها في مذهب الشيعة وجوداً وعدماً، وليست هي إلاّ كبعض أنباء الغيب، وحوادث المستقبل، وأشراط الساعة، مثل نزول عيسى من السماء،

---

(١) من تقديمه لكتاب «عقائد الإمامية»: / ٢٥.

وظهور الدجال، وخروج السفياني وأمثالها من القضايا الشائعة عند المسلمين، وما هي من الإسلام في شيء، ليس إنكارها خروجاً منه، ولا الاعتراف بها بذاته دخولاً فيه، وكذا حال الرجعة عند الشيعة»[١].

والرجعة محل خلاف بين علماء الإمامية، فمنهم من أثبتها ومنهم من أنكرها... إنّ هذه الرجعة قد كبّرها البعض وعدّها من أصول الدين عند الشيعة كذباً وافتراءً.

والرجعة ليست مستحيلة بعد أن حدثت في الأقوام السالفة،وفي القرآن موارد عدة على رجوع بعض الأموات إلى الحياة مثل «عزير» الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه[٢] وهؤلاء أصحاب موسى طلبوا رؤية الله فأخذتهم الصاعقة، قال عزّ وجلّ: ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾[٣].

وقال السيوطي بالرجعة لكن بمعنى مختلف عن المعنى الذي قالت به الشيعة، فقد ادّعى امكانية رؤية النبي ﷺ في

---

(١) «أصل الشيعة وأصولها»: / ٦٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٣) سورة البقرة: ٥٦.



اليقظة وألّف رسالة في ذلك، هي: (إمكان رؤية النبي والملك في اليقظة) وادّعى السيوطي رؤيته للنبي ﷺ بضعاً وسبعين مرة، كلها في اليقظة!..

وقال الصبّان الشافعي برجعة النبيﷺ ، فحين تكلم عن طرق معرفة عيسى الأحكام الإسلامية بعد ظهوره قال: «ومنها ـ أي الطرق ـ إنّ عيسى إذا نزل يجتمع به ﷺ فلا مانع من أن يأخذ عنه ما يحتاج إليه من أحكام شريعته»[1].

قال الدكتور علي عبد الواحد وافي ـ مدافعاً عن الإمامية ـ «ومهما يكن من أمر فإن الاعتقاد بإحدى الرجعتين أو بكلتيهما لا يخرج صاحبه عن الإسلام»[2].

بعد هذه الرحلة المختصرة على ظهر الأمواج لاكتشاف الزمن المخفي، تبين لنا أهمية موقع مدرسة أهل البيتؑ بين المذاهب الأخرى وثبات قواعدها وأرجحية الانتماء إليها.

وبالرغم مما يثيره الخصوم من ضوضاء مفتعلة حول هذه

(١) «إسعاف الراغبين» بهامش نور الأبصار، / ص١٦١.

(٢) «بين الشيعة وأهل السنة»: / ص٥٧.

المدرسة إلا أنّ المنصفين من علماء أهل السنة سجّلوا كلمات جريئة حول هذه الطائفة، فقد عدّها بعضهم مذهباً خامساً وجعلها أخر مرآة الإسلام الصافية وهذه بعض أقوالهم:

الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمود شلتوت

«إن مذهب الجعفرية، المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعاً، كسائر مذاهب أهل السنة»(١).

شيخ الأزهر الدكتور محمد محمد الفحّام

«الشيخ محمود شلتوت، أنا كنت من المعجبين به وبخلقه وعلمه وسعة اطلاعه وتمكنه من اللغة العربية وتفسير القرآن ومن دراسته لأصول الفقه، وقد أفتى بذلك ـ أي جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية ـ فلا أشك أنه أفتى فتوى مبنية على أساس في اعتقادي»(٢).

«ورحم الله الشيخ شلتوت الذي التفت إلى هذا المعنى

---

(١) «إسلامنا» للرافعي: / ص٥٩ ونشرت في مجلة رسالة الإسلام التي تصدر في مصر.

(٢) «في سبيل الوحدة الإسلامية»، للرضوي: / ص٨.

الكريم، فَخَلُد في فتواه الصريحة الشجاعة، حيث قال ما مضمونه: بجواز العمل بمذهب الشيعة الإمامية»[1]..

الداعية الشيخ محمد الغزالي

«وأعتقد أنّ فتوى الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، قطعت شوطاً واسعاً في هذا السبيل، واستئناف الجهد المخلصين من أهل السلطة وأهل العلم جميعاً، وتكذيب لما يتوقعه المستشرقون، من أن الأحقاد سوف تأكل الأمة، قبل أن تلتقي صفوفها تحت راية واحدة... وهذه الفتوى في نظري، بداية الطريق وأول العمل»..

«إنّ الشيعة يؤمنون برسالة محمد، ويرون شرف علي في انتمائه إلى هذا الرسول، وفي استمساكه بسنته، وهم كسائر المسلمين، لا يرون بشراً في الأولين ولا في الآخرين أعظم من الصادق الأمين»[2]..

عبد الرحمن النجار مدير المساجد في القاهرة

«فتوى الشيخ شلتوت نفتي بها الآن حينما نُسأل بلا

---

(١) «إسلامنا»: ٥٩.

(٢) «دفاع عن العقيدة والشريعة»: / ص٢٥٧.

تقييد بالمذاهب الأربعة، والشيخ شلتوت إمام مجتهد رأيه صادف عين الحق. لماذا نقتصر في تفكيرنا وفتاوانا على مذاهب معينة وكلهم مجتهدون»[١].

الدكتور مصطفى الرافعي

«هما المذهبان ـ يقصد الإمامية والزيدية ـ الوحيدان من مذاهب الشيعة اللذان يلتقيان مع مذاهب أهل السنة ويصح التعبد وفق أحكامهما».

«ولست أرى ما يمنع من اعتماد المذهب الجعفري، إلى جانب المذاهب الأربعة»[٢].

حسن البنا

«اعلموا أنّ أهل السنة والشيعة مسلمون، تجمعُهم كلمة لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وهذا أصل العقيدة، والسنة والشيعة فيه سواء وعليه التقاؤهم، أمّا الخلاف بينهما فهو في أمور من الممكن التقريب فيها بينهما»[٣].

---

(١) «في سبيل الوحدة الإسلامية» مرتضى الرضوي: / ص٦٦.
(٢) «إسلامنا»: / ص٣٢، ٥٩.
(٣) «ذكريات لا مذكرات» عمر التلمساني: / ص٢٤٩، مجلة العالم عدد ٥١٩: / ص٤٠.

الأستاذ أحمد بك المصري - أستاذ شلتوت وأبي زهرة

«والشيعة الإمامية مسلمون، يؤمنون بالله ورسوله وبالقرآن وبكل ما جاء به محمد ﷺ.. وفي الشيعة الإمامية قديماً وحديثاً فقهاء عظام جداً وعلماء في كل علم وفن، وهم عميقو التفكير، واسعو الإطلاع، ومؤلفاتهم تعد بمئات الألوف، وقد اطلعت على الكثير منها»(١).

شيخ الأزهر سيد محمد طنطاوي

«إنّ المسلمين سنة وشيعة مؤمنون بالله ونبيه، وإن اختلاف الآراء لا يقلل من درجة إيمان الأشخاص»(٢).

الأستاذ محمود السرطاوي

عميد كلية الشريعة في الجامعة الأردنية وأحد كبار المفتين

«إنني أقول ما قاله سلفنا الصالح: الشيعة الإمامية إخواننا في الدين، لهم علينا حق الأخوّة، ولنا عليهم مثل مالهم علينا، ما يوجد بيننا وبينهم من اختلاف وجهات نظر،

---

(١) «تاريخ التشريع الإسلامي».
(٢) مجلة رسالة الثقلين العدد الثاني السنة الأولى: ١٤١٣ هـ : / ص٢٥٢ و ٢٥٣.

إنّما هي في الفروع»[١].

الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود

«إنّ في عقيدتي أنّ الشيعة هم واجهة الإسلام الصحيحة، ومرآته الصافية، ومن أراد أن ينظر إلى الإسلام، عليه أن ينظر إليه من خلال عقائد الشيعة ومن خلال أعمالهم، والتاريخ خير شاهد على ما قدّمه الشيعة من الخدمات الكبيرة في ميادين الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

وانّ علماء الشيعة الأفاضل هم الذين لعبوا أدواراً لم يلعبها غيرهم في الميادين المختلفة، فكافحوا وناضلوا وقدّموا أكبر التضحيات، من أجل إعلاء الإسلام ونشر تعاليمه القيمة وتوعية الناس وسوقهم إلى القرآن»[٢]..

---

(١) المصدر السابق: / ص٩٠.

(٢) «في سبيل الوحدة الإسلامية».

وفي الختام

إنّ الأولى بالمسلم المنصف أن يترك ما كتبه خصوم الشيعة عنهم وأن يباشر ببصيرته البحث عن الحقيقة، فكتب الإمامية متوفرة في كل مكان ويمكن الاتصال بمؤسساتهم ومراكزهم وعلمائهم.

ولا أدّعي في هذا البحث أنني أوصلت التشيع بكامله إلى القراء، فالبحث واسع في هذا الأمر ولا يتحمله هذا المختصر[1]...

وهذه بعض الكتب نضعها بين أيدي الباحثين لمن أراد المزيد من البحث في هذا المجال:

١ ـ كتب العلماء والمثقفين السنة والذين قادهم البحث العلمي والتحقيق إلى أحقية مذهب أهل البيت ﷺ ... ذكرنا بعضاً منها في الصفحات السابقة.

٢ ـ «المراجعات» للسيد شرف الدين العاملي.

---

(١) وقد فصّلنا الأمر أكثر في كتابنا «وركبت السفينة».

٣ - «الغدير» للشيخ الأميني في أحد عشر مجلداً.

٤ - «معالم المدرستين» للسيد مرتضى العسكري.

٥ - «الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة» الشيخ أسد حيدر.

٦ - « ليالي بيشاور مناظرات وحوار » للسيد محمد الموسوي الشيرازي.

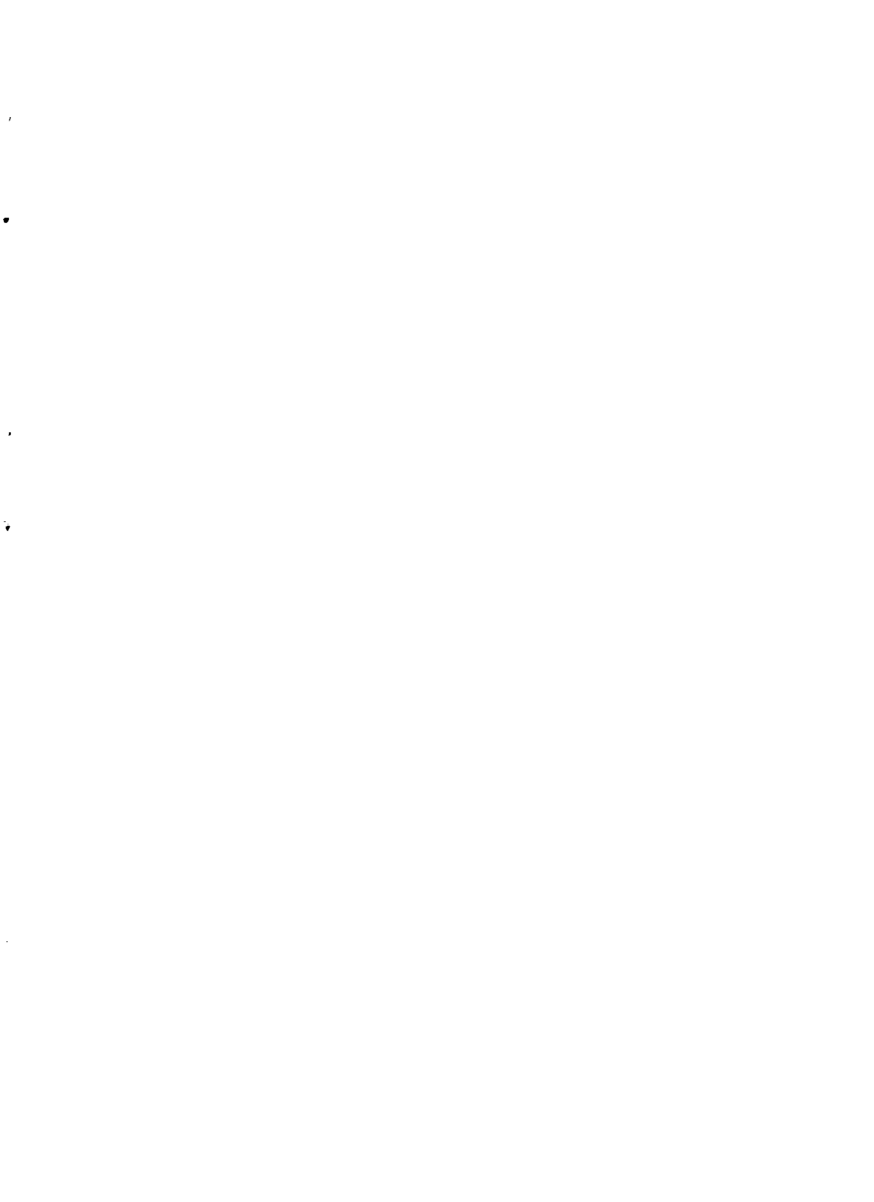
٧ - «أصل الشيعة وأصولها» للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

٨ - «النص والإجتهاد» للسيد شرف الدين العاملي.

٩ - «نظريات الخليفتين»و «اغتيال الخليفة أبي بكر بالسم» كلاهما للشيخ نجاح الطائي.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين...

١٠ - دفاع من وحي الشريعة للسيد حسين الرجا.



دليل المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ آداب الشافعي ومناقبه: ابن أبي حاتم الرازي ـ مكتب نشر الثقافة الإسلامية ـ مصر ـ ١٣٧٢ هـ.

٣ ـ الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم الأندلسي (ت / ٤٥٦ هـ) دار الجيل ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ.

٤ ـ أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين آل كاشف الغطاء (ت / ١٣٧٣).

٥ ـ إعلام الموقعين عن ربّ العالمين: محمد بن قيم الجوزية (ت / ٧٥١ هـ) دار الجيل، بيروت.

٦ ـ الانتقاء: ابن عبد البر النمري (ت / ٤٦٣ هـ).

٧ ـ أوائل المقالات: محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المفيد (ت / ٤١٣ هـ).

٨ ـ بدائع الصنائع: الكاساني الحنفي.

٩ ـ البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي (ت / ٧٧٤ هـ)

دار الفكر، بيروت - ١٤٠٢ هـ.

١٠ - تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي (ت / ٤٦٣ هـ) دار الكتاب العربي - بيروت.

١١ - تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر (ت / ٥٧١) دار الفكر - بيروت - ١٤١٦ هـ.

١٢ - تأسيس النظر: أبو يزيد الدبوسي الحنفي، تحقيق وتصحيح مصطفى محمد القباني الدمشقي.

١٣ - تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي (ت / ٧٤٨ هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤ - تفسير ابن كثير: أبو الفداء ابن كثير الدمشقي (ت / ٧٧٤ هـ) دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٨ هـ.

١٥ - تفسير الدر المنثور: جلال الدين السيوطي (ت / ٩١١ هـ). دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.

١٦ - تفسير مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي (ت / ٦٠٦ هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٥.

١٧ - تفسير الطبري: ابن جرير الطبري: (ت / ٣١٠ هـ) دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى، ١٣٢٩ هـ.

١٨ ـ تفسير فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني (ت / ١٢٥٠ هـ) دار المعرفة ـ بيروت.

١٩ ـ تفسير الكشاف: محمود جار الله الزمخشري (ت / ٥٣٨ هـ) دار المعرفة ـ بيروت.

٢٠ ـ تلبيس إبليس: جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (ت / ٥٩٧ هـ) تحقيق الشيخ محيي الدين محمد بعيون، دار ابن زيدون ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.

٢١ ـ جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر النمري (ت / ٤٦٣ هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ـ دار ابن الجوزي ـ السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ.

٢٢ ـ حجة الله البالغة: ولي الله دهلوي.

٢٣ ـ الرد على من أخلد إلى الأرض وأنكر أن الإجتهاد في كل عصر فرض: جلال الدين السيوطي (ت / ٩١١ هـ).

٢٤ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، طبع في الرياض، ١٤١٥ هـ.

٢٥ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥ هـ.

٢٦ ـ سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (ت / ٢٧٥ هـ) دار الفكر ـ بيروت.

٢٧ ـ سنن أبي داود: أبو داود السجستاني: (ت / ٢٧٥ هـ) دار الفكر ـ بيروت.

٢٨ ـ سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت / ٢٧٩ هـ) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٩ ـ سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي الدارمي (ت / ٢٥٥ هـ) دار الفكر ـ بيروت.

٣٠ ـ السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت / ٤٥٨ هـ) دار الفكر، بيروت.

٣١ ـ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي: دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٣٢ ـ شرح النووي على مسلم: محيي الدين أبي زكريا النووي (ت / ٦٧٦ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٣ ـ صحيح البخاري: أبو عبد الله البخاري (ت / ٢٥٦ هـ) عالم الكتب ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة، ١٤٠٦ هـ.

٣٤ ـ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت / ٢٦١ هـ) دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ.

٣٥ ـ صحيح صفةصلاة النبي: الحسن بن علي السقّاف، دار الإمام النووي ـ عمّان ـ الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

٣٦ ـ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣ هـ) مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٧ هـ.

٣٧ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني (ت / ٨٥٢ هـ) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.

٣٨ ـ فقه السنة: السيّد سابق، دار الفتح للإعلام العربي ـ الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٣٩ ـ كنز العمال: المتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ) مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الخامسة، ١٤٠٥ هـ..

٤٠ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو بكر الهيثمي (ت / ٨٠٧ هـ) دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـ.

٤١ - مجموعة الرسائل المنيرية: الصنعاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت..

٤٢ - المستدرك على الصحيحن: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت / ٤٠٥ هـ). دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ هـ.

٤٣ - مسند الإمام أحمد بن حنبل: (ت / ٢٤١ هـ) دار الفكر ، بيروت.

٤٤ - موطأ مالك: مالك بن أنس (ت / ٢٧٩ هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٥ - وركبت السفينة: مروان خليفات، مركز الغدير للدراسات الإسلامية قم - الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.

وغيرها من المصادر والمراجع.



الفهرس



المؤلف في سطور:

❖ ولد في مدينة إربد في الأردن عام ١٩٧٣م

❖ تخرج من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية عام ١٩٩٥م

❖ له من الكتب المطبوعة:

- وركبت السفينة
- قراءة في المسار الأموي
- النبي ومستقبل الدعوى